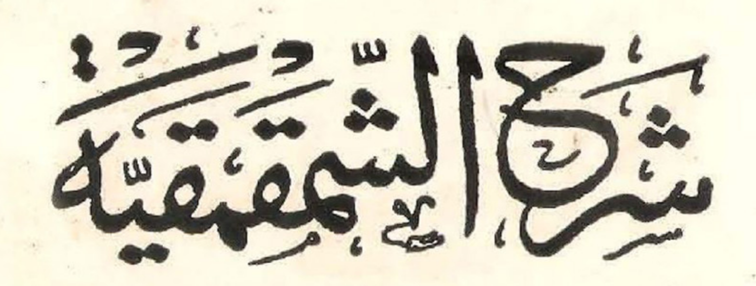
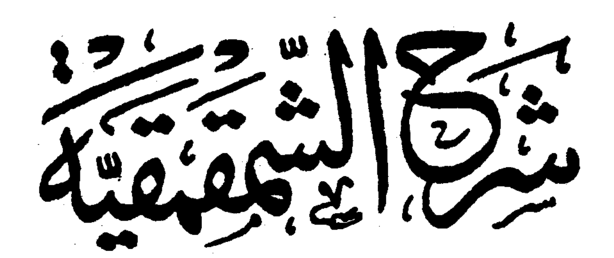


عبد الله كنون الحسني

دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري

بيروت - لبنان القاهرة ج م ع



للسيد عبد الله كنون الحسني

الطبعة الخامسة

١٩٧٩

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان

دار الكتاب المصري
القاهرة ج.م.ع
٣٣ شارع قصر النيل - تليفون ٩٧٤١٦٨

التعريف بابن الونان

صاحب الأرجوزة المشهورة بالشمقمقية

شهرته المطبقة ، جهل أطوار حياته بالمرة ، نتيجة الاهمال ، اسم ابن الونان ، نسبه ، بماذا كانت شهرة قومه ، والده كان نديم السلطان . كان أصم ، تكنية السلطان له با أبي الشمقمق ، جريان هذه الكنية على عقبه ، موت والده ، اتصاله بالسلطان ، كيفية ذلك ، إنشاده أرجوزته ، حصوله فى معيته ، وفاته ، آثاره إكثاره : شعره ، بين أبي نواس وأبي العتاهية ، آثاره من غير الأرجوزة ، الأرجوزة ، عدد أبياتها ، أقسامها ، قيمتها الأدبية ، اعتناء الادباء بها ، شروحها ، طبعتها .

التعريف :

لامبالغة إذا قلنا : إن هذا هو الشخص الذى يكاد لا يجهله أحد من مختلف طبقات المثقفين عندنا صغاراً وكباراً، فهو قد أحرز شهرة واسعة ، بحيث لاتسأل عنه متأدباً ولو ناشئاً إلا إذا وجدت عنده من أمره خبراً ، ولا مبالغة أيضاً إذا قلنا أنه مع ذلك الشخص الذى يكاد لايعرف أحد من حياته قليلا ولا كثيراً ، فهو سر مكنون فى أحشاء التاريخ ،مازال

الباحثون يقنصون آثاره ؛ ويستقصون أخباره ، وحسبك من الجهل به أننا لانعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته، الا ماذكره الاستاذ النميشي في وفاته مما تتعرض له بعد. والامر الذي يقضي منه العجب هو أنه ليس ببعيد العهد منا جداً حتى نجد سلوة فى عدم الاطلاع على أحواله وتعرف أطوار حياته ، بل هو ممن درج بين يدى العهد الأخير وسمعه وبصره ، ويمكن جداً أن يكون بين ظهرانينا اليوم من رأى من رآه وعاشر من عاشره . فهل تريد دليلا أقوى من هذا على إهمالنا لنبغائنا وعدم إنصافنا لهم حتى بعد مماتهم ؟ وهل آن لنا أن نتخلص من هذا الإهمال الذى قضى على جل مآثر أسلافنا وبالتالى على أحسابنا الموروثة ، وهى لقاح الأحساب المكتسبة التى نسعى لإيجادها وتهيئة أسبابها ؟ .

قلنا : إن ابن الونان هو الشخص الذى بقدر ما عُرف جهل ، وكما ذكر نسى ، ومعرفته وذكره متأتيان من أرجوزته المعروفة (بالشمقمقية) التى نحمد الله على سلامتها من عوامل الفناء التى اصطلحت على كثير من آثار الأدباء غيره وعلى كثير من آثاره هو غيرها ، وأما نسيانه فهو مما مُنينا به من الأهمال الذى أشرنا إليه على أن صبابة من أخباره مما بقى فى بعض الأوراق كما يبقى السؤر فى كأس الشراب ، تقفنا على جانب من أمره ، وتكشف لنا بعض سره .

فأول ما نذكر مما نعرفه عنه اسمه ونسبه : فهو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الونان الملوكى ، الحميرى النسب ، التواتى الأصل ، الفاسى الدار ، وهو يدلى إلى الحميرية بقومه بنى معقل من عرب الصحراء الذين تملكوا وطنه توات بعد زناتة ، وبنو معقل هؤلاء رجح ابن خلدون أنهم من مزحج . ومذحج من كهلان ابن سبأ أخى حمير وبهذا يفسر افتخار المترجم بالأنصار فى الشمقمقية لأن نسب الأنصار فى كهلان ، لكن شهرة قومه بفاس إنما كانت بأولاد الونان . وببنى ملوك .

ثم نذكر أن والده كان من ندماء السلطان سيدى محمد بن عبدالله وكان أديباً ظريفاً خفيف الروح ، لطيف الحس ، صاحب نوادر وملح . قال أبو عبدالله الجربرى : وكان شديد الصمم ، قد زال حس سمعه وانعدم ، وكان مع ذلك يفهم بلطيف الإشارة ، ما لا يفهمه غيره بصريح العبارة ، حتى أنه يجيب عما يكتبه الكاتب على أعضائه فى الظلام ، وعما يرقمه الراقم فى الهواء نهاراً من الكلام ، من غير أن يبطىء فى الجواب ويخطىء عين الصواب فهو كما قال الشاعر :

تشير له بلحظك من بعيد ... فيفهم طرفه عنك الإشاره

وهذا لا يستغرب ممن كان على شاكلته ، فإن ما حجبه الله من سمعه قد أفاضه على سائر مشاعره ، فقوى بذلك إدراكه

ولطف حسه . وقد يكون هذا مما قوى رغبة السلطان فيه وزاد اغتباطه به .

ولقد كان من أثر إعجابه به أن كناه بأبي الشمقمق تشبيهاً له بذلك الشاعر الكوفى الماجن الذى نقرأ أخباره الطريفة فى الأغانى والعقد الفريد والكامل وغيرها من كتب الأدب ، فلزمته هذه الكنية وصارت علما عليه فكان لا يدعى بعد ذلك إلا بها بل تخطته إلى ابنه بل تخطت ابنه إلى أرجوزته فلا تدعى إلا بالشمقمقية .

هذا كل ما نعرفه عن والد شاعرنا ، بل كل ما نعرفه عن شاعرنا نفسه إلى حين اتصاله بالسلطان سيدى محمد ابن عبدالله إنما المفروض أن هذا الوالد الموهوب قد بذل غاية جهده فى تربية ولده وتنشئته على أكمل الصفات ، فبرع ونبغ ، وما راعنا إلا أن رأيناه على بساط البلاط العلوى ينشد شمقمقيته فيستحسنها السلطان ، ويجزل صلته ويرفع منزلته .

ولا نظن أن اتصاله بالسلطان سيدي محمد بن عبدالله كان في حياة والده لان الوسيلة التي اتخذها اليه تمنع ان يكون والده في معية السلطان ويتكبد هو المشاق للوصول اليه لانشاده شعراً يمدحه به ، الا أن يكون ذلك الوالد قد كبر جداً أو مرض حتى لم يعد في مقدوره حضور مجلس السلطان وهذا الوجه على ما فيه من التكلف غير مقبول، تماماً

فلتمر القصة على سجيتها ما دام ليس هناك نص تاريخي يلزمنا الأخذ به ولنقل : إن والده قد مات وإنه بقى مدة يعلل نفسه بالحصول على مكانته من السلطان خصوصاً وليس ما يمنعه من ذلك مع أدبه الجم وشعره النفيس فعمل أرجوزته وقصده بها . لكن الحسود الكنود الذى يعرف من فضله ما لا يعرف غيره ويخشى من مزاحمته لدى السلطان ، كان يقف حجر عثرة فى سبيله ويمنعه من الوصول إليه : فلما أعياه الأمر تحين خروج السلطان فى بعض المرار واعترضه فى موكبه وصعد نشزاً عالياً من الأرض ونادى بأعلى صوته :

ياسيدى سبط النبي أبو الشمقمق أبى

فعرفه السلطان وأمر بأحضاره بعد بلوغه إلى منزله فحضر وأنشد الأرجوزة التى نالت رضى السلطان ورفعت مرتبة الشاعر عنده .

وهنا ينسدل حجاب الغموض تماماً على حياة شاعرنا فلا نعرف عنه بعد ذلك لا ما قل ولا ما جل حتى تاريخ وفاته الذى إنما « اكتشف » أخيراً وكان الفضل فى اكتشافه للأستاذ النميشى فهو الذى ذكر فى مسامرته تاريخ الشعر والشعراء بفاس أنه توفى سنة ١١٨٧ وقد بقينا فى حيرة مع ذلك التاريخ لانفراد الأستاذ به . ثم ألقى إلى إنه وقف عليه فى كناش لبعض المتوفين بفاس قريباً ، وفى إحدى قدماتى لهذه المدينة كان

باستطاعتى أن أقف على ذلك الكناش لكنى لم أفعل لضيق الوقت ولثقتى بأمانة الناقل .

وبعد فلننظر فى آثار أديبنا على قلة ما وصل إلينا منها، وهو على ما نعتقد جزء من عشرة أجزاء إن لم يكن أقل من ذلك . لأن ابن الونان كان شاعراً مكثراً سيال الطبع كما يعلم من قول الجريرى . «وكان حسن النظم مكثاراً ، لا يخاف جواد لسانه عثاراً » . وكما يعلم من دراسة هذا النزر اليسير الذى بأيدينا من شعره وخصوصاً أرجوزته ، فإنه لم يكن على ما يظهر من الشعراء « الحوليين » كثيرى العناية بشعرهم ، الذين ينظمون القصيدة فى ليلة وينقحونها فى سنة ، بل كان يرسل نفسه على سجيتها ولا يعبأ باللفظ ينبو عن الموضع الذى وضعه فيه ، ولا بالعبارة تكون قلقة بازاء أختها المطمئنة ومن كان كذلك فأحر به أن يخلف ديوانا من الشعر لأنه قد ينظم عدة قصائد فى اليوم الواحد كما قال أبو نواس لأبى العتاهية ، وقد سأله مرة كم تعمل فى يومك من الشعر ؟ فقال له : البيت والبيتين ، فقال أبو العتاهية : لكنى أعمل المائة والمائتين ، فقال أبو نواس لأنك تعمل مثل قولك :

ياعتب مالى ولك ياليتنى لم أرك

ولو أردت مثل هذا الألف والألفين لقدرت عليه .

وآثار ابن الونان من غير الأرجوزة هى قطعة شعرية

مدح بها سيدى محمد بن عبدالله ، ورسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدى المعطى ابن الصالح صاحب ذخيرة المحتاج ثم أتبعها بشعر فى مدحه ، وبيتان فى مدح سيدى محمد بن عبدالله ، وثلاثة أبيات قالها فى ترفعه عن أخذ الزكاة وهذه كلها تجدها فى شرح العلامة الناصرى للشمقمقية . وليس منها أصلا البيتان اللذان نسبهما له العلامة الناصرى والأستاذ النميشى فى الاعتذار عن بخل الكبراء على الشعراء ، فقد ذكرهما العلامة الأفرانى فى شرح التوشيح ونسبهما لابن حبيكنا البغدادى كما ذكرهما صاحب معاهد التنصيص ، وكلا الأفرانى وصاحب المعاهد ممن عاش قبل ابن الونان بكثير .

وله غير ما ذكر نظم رصين لمسائل ابن خميس المعروفة ، وهو أحسن الأنظام التى تضمنت تلك المسائل ، وقد ذكرناه فى مجموعتنا (أراجيز البلاغة) .

أما الأرجوزة أو الشمقمقية فهى أعظم آثار ابن الونان ، وديوان أدبه ، ونموذج شاعريته ، ومثال نظمه ، ولكثير من الأدباء أعجاب بها يجاوز حد ماتستحق ، وهى على روى القاف وعدد أبياتها ٢٧٥ وتنقسم بحسب الأغراض الشعرية إلى ثمانية أقسام .

١) النسب بذكر رحيل الأحبة ، ووصف الإبل التى تحمّلوا عليها والبيد التى تعسفوها ، ولوم الحادى على جده السير ليل

نهار حتى أضر بالابل ضرراً بليغاً ، وتذكيره بمن يحملن على ظهورهن من النساء اللاتي لا طاقة لهن بذلك السير العنيف وإظهاره شديد العطف على هذه الابل حتى تبرع — وهو يسر حسوا فى ارتغاء — بالريادة لها والقيام عليها أحسن قيام .

٢) التغزل بصفات محبوبته ، وما هى عليه من فنون المحاسن وضروب المفاتن

٣) الحماسة والفخر .

٤) مخاطبة الحسود .

٥) الحكم والأمثال والوصايا .

٦) مدح الشعر :

٧) مدح السلطان .

٨) مدح الأرجوزة ، تحدى الشعراء أن يأتوا بمثلها .

أما قيمتها الأدبية فلا نطيل الكلام فيها بعد ما عرفنا مما تقدم الشيء الكثير عن أسلوب ابن الونان وطبقة شعره . وأنا لانغلو فيها غلو تلك الطائفة التى تجاوز بها حد ما تستحقه من الإعجاب ولانبخسها حقها وكونها فى بعض الأبيات تسمو إلى درجة المطبوعين من الشعراء حتى لاتعدو بها طبقة أبى نواس ومن على طريقته ، إنما فى بعض الأبيات الأخرى تسفل حتى لا يبقى فرق بينها وبين « الألفيات » وغالب ذلك فى هذا القسم الذى

يصف فيـــه البيد والقفار ، والنباتات والأشجار والحيوانات والأطيار ، وفى قسم الحكم والأمثال والوصايا .

أما القسم الأول فــلأنه حشر فيه من الألفاظ الغريبة والكلمات الحوشية ممـا يتعلق بوصف تلك الأمور المشار إليها ماجعله كأنه من متون اللغة :

وأما القسم الثانى فإنه أراد أن يسلك فى ضرب الأمثـال طريقة ابن دريد فى مقصورته من الاشـــارة إلى مواردها ، والتزم ذلك التزاما كليا وأغمض فيه كل الأغماض ، فعميت أنباؤه على القارىء وصار لايدرك لها معنى إلا إذا كان بجانبه من يفسرها له . وبذلك خرج هذا القسم عديم الانسجام قليـل الفائدة .

وعلى الجملة فهى أرجوزة ظريفة جامعة لـكثير من فنون الأدب وأخبار العرب ، وهى على عالمية صاحبها أدل منهـا على شاعريته ، ولمـكانتها التى أشرنا اليها عند الأدباء ، فقد عارضها ابن عمرو الرباطى من أدباء القرن الثالث عشر ، واعتنى بشرحها جماعة منهم: العلامة أبو عبدالله الجريرى السلوى والعلامة الناصرى (صاحب الاستقصا) وشرحه شرح حافل ، وغيث من الأدب هاطل ، والعلامة أبو حامد البطاورى ، بارك الله فى أنفاسه ، وغيرهم .

وطبعت على حدتها ، ضمن مجموعة من المتون العلمية ، طبع حجر بفاس عام ١٣١٥ ﻫ .

عبد الله كنون الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ]

الحمد لله الذى سهل سبل الخيرات للمتعلمين ، ويسر مدارك الآمال للمتأدبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبى الرحمة القائل : « إن من الشعر لحكمة » . والرضا عن آله الأتقياء الأبرار ، وصحابته المهاجرين والأنصار .

[وبعد] : فهذا تفسير لألفاظ [الشمقمقية] دعانى إليه أنى رأيت كثيراً من الطلبة يحفظونها ولا يفهمونها وآخرين يطلبونها فلا يجدونها ، فأحببت أن أقرب ما بين أولئك وبينها ، وأزفها إلى هؤلاء بعد أن أزينها ، والله المسئول فى القبول ، وبلوغ السؤل ، آمين .

قال الشيخ الأديب الماهر أبو العباس أحمد بن محمد ابن الونان الحميرى الملوكى التواتى الفاسى ، المشهور [بأبى الشمقمق] :

[مَهْلاً عَلَى رِسْلِكَ حَادِى الأَيْنُقِ
وَلاَ تُكَلِّفْهَا بِمَا لَمْ تُطِقِ]

مهلا مصد نائب عن فعله ، والرسل : التمهـــل والتؤدة والرفق ، والحادى : الذى يسوق الإبل ويغنى لها ليزعجها فتقطع المسافات الطويلة فى الزمن اليسير ، والأينق : جمع ناقة ، وهو وإن كان جمع قلة فالمراد به هنا الكثرة، أى سر على مهل ، وتأن أيها الحـادى ، وارفق بضعاف النوق ، فلا تـكلفها ما لا تطيقه ولا تقدر عليه من هذا السوق العنيف والسير الحثيث .

[فَطَالمَا كَلَّفْتَهَا وَسُقْتَهَا

سَوْقَ فَتًى مِنْ حَالِهَا لَمْ يُشْفِقِ]

أى فقد طالت مدة تكليفك لهـا وسوقها بلا شفقة عليها مع أنك لو تأملت فى حالها لرحمتها ، لمـا هو باد عليها من أثر الأجهاد والعناء ، وطال فعـــل ماض اتصلت به ما فكفته ، فلا يطلب فاعلا ، ومثله : كثر ما وقلما ، وهى بهـــذه الصورة أفعال لاتتصرف ولا يليها إلا الفعـــل ، وينبغى أن تكتب موصولة مع ما .

[وَلَمْ تَزَلْ تَرْمِى بِهَا يَدُ النَّوَى

بِكُلِّ فَجٍّ وَفَلَاةٍ سَمْلَقِ]

النوى : البعد ، ولايدلها ولـكنه استعارها لها ، والفج ، الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، والفلاة : الصحراء الواسعة،

والسملق : الأرض المطمئنة المستوية ، وهذا دليل آخر على ما تتكبده هذه الإبل من المشاق فى قطع هذه السبل الطويلة ، والمسافات البعيدة ، فذلك أدعى لرحمتها والإشفاق عليها .

[وَمَا ائْتَلَتْ تَذْرَعُ كُلَّ فَدْفَدِ
أَذْرُعُهَا وكُلَّ قاعٍ قَرِقِ]

[وَكُلَّ أَبْطَحَ وأَجْرَعَ وجِزْ
عٍ وَصَرِيمةٍ وَكُلَّ أَبْرَقِ]

ما ائتلت : ما قصرت ، من قولهم : ما ألوت أن أفعل كذا: أى ما قصرت . تذرع كل فدفد ، تقيسه بأذرعها ، والفدفد : الفلاة والمكان الغليظ أو المرتفع ، والقاع : الأرض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام ، والقرق: المستوى والأبطح كالبطحاء : مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى والأجرع والجرعاء : رملة مستوية لاتنبت شيئاً ، والجزع منقطع الوادى ، والصريمة : القطع من الرمل تنصرم أي تنقطع عن معظمه والأبرق : الأرض الغليظة ذات الحجارة والطين ، وهذه كلها أوصاف متشابهة المراد منها تهويل أمر هذه المفاوز التى تعبت وكلت أذرع الإبل بمعنى أيديها وأرجلها فى ذرعها وقياسها ، وذلك كناية عن حركة السير وسرعته .

[مَجَاهِلٌ تَحَارُ فِيهِنَّ الْقَطَا

لَا دِمْنَةٌ لَا رَسْمُ دَارٍ قَدْ بَقِي]

مجاهل جمع مجهل : وهو الفلاة لا أعلام فيها يهتدى بها ، تحار : تضل ، القطا جمع قطاة : وهو طير بحجم الحمام ، يضرب به المثل فى الاهتداء إلى المكان المطلوب ، والدمنة : آثار الديار والرسم : الأثر : أى تلك المفاوز مجاهل لا يهتدى فيها حتى القطا المعروفة بسرعة الاهتداء ، قد عفت آثارها ، ودرست معالمها ، وهى كذلك مظنة اللف والدوران ، والضلال والتيهان وقوله : لا دِمنة لا رسم دار قد بقِى . برفع دمنة ورسم على الابتداء أو على أعمال لا عمل ليس ، كقوله تعالى : « يوم لا بيع فيه ولاخلة ولا شفاعة » . وخبر دمنة محذوف دل عليه مابعده ، ويجوز فيه وجه آخر : وهو رفع دمنة ، وفتح رسم كقول أمية بن أبى الصلت :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما فاهوا به أبدا مقيم

وينبغى الاقتصار فيه على هـذين الوجهين من الإعراب لسلامتهما من الضرورة وهى تنوين دمنة فى حالة البناء .

[لَيْسَ بِهَا غَيْرُ السَّوافِى وَالْحَوَا

صِبِ الْحَرَاجِيجِ وَكُلٌّ زِحِلِقِ]

بعد ما وصف الأرض بما هو فى طبيعتها من الحزونة أو

السهولة والاستواء أو غيره وصفها بما تشتمل عليه من هذه الرياح والعواصف ، والزعازع القواصف ، فالسوافى جمع سافياء : وهى الريح التى تسفى التراب : أى تحمله وتذروه ، والحواصب جمع حاصب : وهى الريح الشديدة التى ترمى بالحصباء وهى فى قوله تعالى : «فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً» ، والحراجيج جمع حرجوج : وهى الريح الباردة الشديدة ، والزحلق : الريح الشديدة :

[وَالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ وَالْعِضَاهِ وَالْبَشَامِ وَالْأَثْلِ وَنَبتِ الْخَربَقِ]
[والرِّمْثِ والْخُلَّةِ والسَّعْدَانِ والثَّغرِ وَشَرْيٍ وَسَنًا وَسمسقِ]
[وَعُشَرٍ وَنَشَمٍ وَإِسْحِلِ
مَعَ ثُمَامٍ وَبَهَارٍ مُونَقِ]

المرخ : شجر رقيق سريع الورى يقتدح به ، والعفار كذلك شجر يتخذ منه الزناد . وفى المثل : فى كل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار ، والعضاة : كل شجر عظيم له شوك ، والبشام : شجر طيب الرائحة يتخال بعيدانه ، والأثل : شجر كالطرفاء إلا أنه أعظم منها ، وخشبه صلب جيد تصنع منه القصاع والجفان ، والخربق : نبات ورقة كلسان الحمل : أبيض وأسود ، والرمث مرعى الإبل من الحمض ، وشجر يشبه الغضا ، والخلة ما فيه حلاوة النبات ، والعرب تقول :

الخلة خبز الإبل . والحمض فاكهتها . والسعدان . نبت له شوك . وهو من أفضل ما ترعاه الإبل . وفى المثل . مرعى ولا كالسعدان والثغر : نبت جيد الرعى من أفضل العشب ، والشرى . الحنظل ، يقال لفلان طعمان . شرى وأرى .أى حنظل وعسل ، والسنا نبت كأنه الحناء حبه مفرطح وله منافع ، والسمسق . الياسمين والمرزنوش والعشر شجر فيه حُرَّاق لم يُقتدح فى أجود منه ، والنشم . شجر تتخذ منه القِسىّ ، والإسحل شجر له أغصان ناعمة يستاك بها ، والثمام نبت ضعيف لا يطول ، والبهار . نبت جعدله فقّاحة صفراء وهو طيب الرائحة ، ويقال فيه أيضا العرار ، ومونق أى معجب ، وهذا وصف للأرض بما اشتملت عليه من أنواع الأشجار والنباتات البرية ، ثم وصفها بما اشتملت عليه من الحيوانات فقال .

(وَالسِّمْعِ وَالْيَعْقُوبِ وَالْقِشَّةِ وَالسِّيدِ السَّبَنْتَى وَالْقَطَا وَجَوْرَقِ)

(وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرِّئَالِ والْهَيْثَمِ مَعْ عِكْرِمَةٍ وَخِرْنِقِ)

السمع :ولد الذئب من الضبع ، وهو شديد السماع يضرب به المثل فى ذلك ، فيقال أسمع من سمع ، واليعقوب : ذكر الحجل ، والقشة : القردة أو ولدها الأنثى ، والسيد : الذئب

ويطلق على الأسد ، والسبنتى : الجرىء المقدام وهو صفة للسيد ، والجورق : ذكر النعام ، والليل : فرخ الكروان ، والنهار : فرخ الحبارى، والرئال جمع رأل . وهو ولد النعام ، والهيثم : الصقر ، وقيل فرخ العقاب وفرخ النسر ، والعكرمة : أنثى الحمام ، والخرنق : الفتى من الأرانب ، وسميت به امرأة .

(وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَا

بِجَلَمِ الْيَــدِ وَسَيْفِ الْعُنُقِ)

الجلباب : الملحفة ، والدجا : الظلام ، والجلم : المقراض وهما جلمان ، وإضافة الجلباب إلى الدجا ، والجلم إلى اليد ، والسيف إلى العنق ، من إضافة المشبه به إلى المشبه على قاعدة التشبيه البليغ المحذوف الأداة ، وليس هذا البيت تكراراً مع البيت السابق ولم تزل تذرع كل فدفد . إلى آخره لأن فيه زيادة النص على أن هذه الإبل لا تستريح من السير ليلاً ونهاراً مع حسن الكناية عن هذا المعنى بجعلها . أى الإبل تقطع ستار الليل تقطيعاً بيدها التى تشبه الجلم ، وعنقها الشبيه بالسيف .

(فَمَا اسْتَرَاحَتْ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرِ

وَمِنْ صُعُودِ بِصَعِيــــدِ زَلَقِ)

(إِلاَّ وَفِى خَضْخَاضِ دَمْعِ عَيْنِهَا

خَاضَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابِ مُطْبِقِ)

الجعفر : النهر ، وهو من أعلام الذكور ، والصعيد : وجه الأرض . والزلق : مصدر زلق . إذا زلت قدمه ولم تثبت ؛ وإسم للمكان الدحض والأرض الملساء التى ليس بها شىء ومنه قوله تعالى : « فتصبح صعيداً زلقاً » ، والخضخاض : الطين المختلط بالماء ، والسراب : مايتراءى للعين من اشتداد الحر كأنه ماء ، ويضرب به المثل فى الغرور والخداع فيقال هو أخدع من السراب ، والمطبق : المغطى ، وهذا المعنى من تتمة ما قبله . أى أنها ما تكاد تستريح من قطع نهر ، أو تسلق مكان وعر ، حتى تخوض من دمعها الهامل ، فى بحر من السراب الشامل .

(كَأَنَّمَا رَقْرَاقُهُ بَحْرٌ طَمَا
وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِى)
(وَكُلُّ هَوْدَجٍ عَلَى أَقْتَابِهَا
مِثْلُ سَفِينٍ مَاخِرٍ أَوْ زَوْرَقِ)
(مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيَاحِ فَهْىَ فِى
تَفَرُّقٍ حِيناً وَحِيناً تَلْتَقِى)

رقراقه : ما تلألأ منه ، وطما امتلأ ، والهودج : محمل تركب فيه النساء ، والأقتاب جمع قتب . محركاً ، وبكسر فسكون .

رحل صغير يكون على سنام الجمل ، والسفين : جمع سفينة ، وقد يراد به المفرد ويتعين هنا ليطابق المبتدأ والصفة ، وماخر : إسم فاعل من المخر . وهو شق الماء ، والزورق : السفينة الصغيرة ، وهوج الرياح: عواصفها التى تقلع الأشجار والبيوت ، يصف السراب بأنه كالبحر المزبد المتلاطم الأمواج ، وهذه النوق هى أمواجه ، وهوادجها : سفنه فهى تتلاعب بها الرياح ، تارة تجمعها وتارة تفرقها .

(وَكَمْ بِسَوْطِ البَغْيِ سُقْتَ سُوقَهَا

سَوْقَ المُعَنِّفِ الَّذِى لَمْ يَتَّقِ)

السوط : آلة الضرب . واستعاره للبغى . وهو الظلم ، وسقت ماض من السوق ضد القود ، وسوقها جمع ساق . وهى من الرجل معروفة، يعنف الحادى على قسوة قلبه ، وقلة خوفه من ربه ، فهو على ما يكلف هذه الإبل من عظيم الجهد ، لا يكف عن إلهابها بسوط الحقد ، وهذا وإن كان تكراراً مع قوله . فطالما كلفتهما البيت . إلا أن فيه بيانا للكيفية ، وهو مع ذلك لما بعده كالتوطئة .

(حَتَّى غَدَتْ خُوصاً عِجَافاً ضُمَّرا

أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ الْعَنَقِ)

أى وبسبب ذلك التعذيب والتضربب صارت خوصاً غائرات الأعين جمع خوصاء ، عجافا : ضعافا جمع عجفاء على غير قياس ضمرا : مهزولة جمع ضامر أعناقها بما يبدو عليها من الانكسار تشكو طويل العنق « ضرت من السير فسيح سريع » وفى إسناد الشكوى إلى الأعناق مجاز كما أن فى قوله أعناق وعنق جناسا .

(مَرْثُومَةَ الأَيْدِى شَكَتْ فَرْطَ الْوَجَا
لَـكِنَّهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقِ)

أى وبسبب ذلك أيضاً صارت مرثومة الأيدى . أى مهشمتها وأصيبت بالوجى . وهو الحفا أو وجع فى الرجل : فهى تشكو من الحاحه عليها، ولكن شكواها تذهب سدى لأنها تلقيها الى غير مشفق :

(قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا المَحَاسِنُ بِإِدْ
مَانِ السُّرَى وَقِـلَّةِ التَّرَفُّقِ)

الإدمان : المداومة ، والسرى المشى ليلا ، وهذا من الأجمال بعد التفصيل فإنه لما خصص بالذكر جملة من العيوب التى أصابتها ولم تكن فيها عمم فقال: إن جميع محاسنها قد زايلتها بسبب إدمانها السرى ، وقلة ترفق الحادى بها .

(كَأَنَّهَا لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتُخِبَتْ
مِنْ كُلِّ قَرْوَاءَ رَقُوبٍ فُنُقِ)
(دَوْسَرَةٍ ، هَوْجَاءَ وَجْنَاءَ ، مَا بِهَا
مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ وَجًى وَسَلَقِ)

ناقة قرواء ؛ طويلة السنام ، ورقوب : لاتدنو من الماء عند الزحام لكرمها وفنق ؛ فتية منعمة ، ودوسره:ضخمة وهوجاء : سريعة حتى كان بها هوجا أى حمقا ؛ ووجناء ، عظيمة الوجنتين وقصره للضرورة ، والنقب ؛ رقة خف البعير والوجى تقدم ، والسلق ؛ أثر الجرح ، وهذا وصف لما كانت عليه من الحسن والجمال قبل أن يحل بها البلاء والنكال ، فما أسرع ما تتبدل الأحوال .

(مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ
أَكْثَرَ مِنْ ذَوْدٍ وَدُونَ شَنَقِ)

الهنيدة : إسم للمائة من الإبل ، والذود : إسم لما بين الثلاث إلى العشر ، والشنق لما بين العشر إلى العشرين : يريد أن ما أصابها من التلف لم يكن فى أجسامها فقط ، بل تعدى إلى النفوس فكاد يبيدها عن آخرها وما أبقى منها إلاّ القليل ، فبعد أن كانت مائة صارت أقل من عشرين .

(وَإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى إِتْعَابِهَا
وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِياً عَنْ رَهَقِ)
(فَسَوْفَ تَعْرُوكَ عَلَى إِتْلَافِهَا
نَدَامَةُ الْكُسْعِيِّ وَالْفَرَزْدَقِ)

هذا إنذار للحادى بأنه إذا تمادى واستمر على خطته الهوجاء فى إرهاق هذه الإبل وتحميلها ما لاتطيقه فإنه سوف تعروه وتصيبه ندامة مثل ندامة الكسعى والفرزدق ، وندامتهما مما يضرب به المثل ، أما الكسعى بضم ففتح ، وسكنه الناظم للضرورة فإنه أعرابى خرج يصطاد ليلا فبانت له حمر وحشية فرماها فأنفذها ، **لكن سهامه كانت تصيب صوانة بعد النفاذ فتوري ، فظنها لم تصب** شيئاً فغضب وكسر قوسه وعض على إبهامه حتى قطعها ثم نام ، فلما أصبح وعرف الحقيقة ندم ندما شديداً لكسر قوسه وقال :

ندمت ندامة لو أن نفسى تطاوعنى إذاً لقطت خمسى

وأما الفرزدق فهو الشاعر المشهور ، وكان تزوج ابنة عمه النوار بنت أعين بن ضُبيعة على كره منها له ، ورغبة له فيها ، فنشأ بينهما ما هو طبيعى فى هذه الحال من الخلاف إلى أن استرضته فى طلاقها فطلقها ثلاثا ، وأشهد الحسن البصرى ، فما خرجت عن عصمته حتى نازعته نفسه إليها وندم على طلاقها وقال :

تدمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار

(وَكُنْتَ قَدْ عُوِّضْتَ مِنْ أَخْفَافِهَا

خُفَّيْ حُنَيْنٍ ظَافِرًا بِالْأَنَقِ)

هذا البيت معطوف على جملة جواب الشرط فى البيت قبله ويصح أن يكون حالا من مفعول تعروك ، وهو من تتمة معناه والتقدير ؛ وأن تماديت على أتعابها فسوف تعروك على ذلك ندامة الكسعى والفرزدق ، وتكون قد تبدلت منها خفى حنين ، وأتى بالماضى فى موضع المضارع لتنزيله منزلة الواقع ، وكنى عن هلاكها ، بهلاك أخفافها ، لأنها كل شىء بالنسبة إلى المسافر الذى لا يتأتى له الانتقال بالإبل مع تلف أخفافها مع ما فى قوله أخفافها ، وخفى حنين من التجنيس ، والأخفاف جمع خف . وهو من البعير كالحافر من الفرس ، وهو أيضاً ما يلبس فى الرجل ، وظافراً بالأنق . أى الفرح حال من التاء فى عوضت ، وليس فى ذلك شىء من الأنق ولكنه سخرية لاذعة من الحادى الذى ركب رأسة ، وأبى إلا تعريض الإبل للتلف فيظفر بخفى حنين ، وهذا مثل يضرب فى الرجوع بالخيبة ، وأصله أن إسكافا كان يقال له حنين أتاه أعرابى فساومه فى خف واختلفا حتى غضب حنين فأراد كيد الأعرابى ، فأخذ الخف وطرح شقا منه على طريق الأعرابى ، ثم ألقى الآخر على مسافة منه فى الطريق وكمن بينهما بحيث لا يراه فمر الأعرابى بالخف الأول فقال ما أشبهه

بخف حنين فلما مضى حتى انتهى الى الآخر، فبداله أخذهما فنزل وعقل ناقته واخذه ومضى في طلب الآخر فخرج حنين من الكمين وأخذ الناقة بما عليها ، فلما عاد الاعرابي الى قومه وقص عليهم قصته قيل رجع بخفي حنين .

(لَأَنْتَ أَظْلَمُ مِنِ ابْنِ ظَالِمٍ

إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدُ بِهَا لَمْ تَرْفُقِ)

ابن ظالم: هذا فاتك مشهور له فظائع ، ومن خبر فتكه أنه وثب بخالد بن جعفر بن كلاب وهو فى جوار الأسود بن المنذر الملك فقتله وطلبه الملك ففاته ، فقيل له : أنك لن تصيبه بشيء أشد عليه من سبي جارات له من بَلِيّ ، وبَلِيّ حيّ من قضاعة فبعث فى طلبهن ، فا ستاقهن وأموالهن فبلغه ذلك ، فكر راجعا من وجه مهربه وسأل عن مرعى إبلهن وكن فيه ، فتلطف حتى وصـــل إليه ، ثم إستنقذ جاراته وأموالهن وانطلق فأخذ شيئاً من جهاز سنان بن حارثة ، فأتى به أخته سلمى بنت ظالم وكانت زوج سنان وقد تبنت ابن الملك شرحبيل بن الأسود فقال ؛ هذه علامة بعلك فضعي إبنك حتى آتيه به ففعلت ،فأخذه وقتله ، فضرب بفتكه المثل ؛ والناظم ضرب به المثل فى الظلم لاستلزامه له ، وليجنس قوله ؛ أظلم مع ابن ظالم .

(رِفْقاً بِهَا قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى

وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الْمُرْتَقِ)

عاد فطلب منـــه الرفق بعد ذلك التقريع عسى أن يكون تأثر مما سمع من وصف حال هذه الإبل الذى يستوجب الرثاء فتستجيب نفسه لداعى الشفقة والرحمة ويرفع عنها سوط العذاب والنقمة وقوله : قد بلغ السيل الزبى ، الزبى : جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها الماء ، فإذا بلغها السيل كان جارفا بجحفا وهو مثل يضرب لما جاوز الحد وعند اشتداد الأمر ، وكذا قوله : واتسع الخرق على المرتق ، والخرق : الثقب فى ثوب أو غيره . والمرتق : الرافى .

(وَهَبْ لِأَيْدِيهِنَّ أَيْدًا وَاهِــاً
مَتْنًا مَتِينًا ماَ خَلاَ عَنْ مَصْدَقِ)

(فَماَ لِظعْنٍ حَمَـــلتْ مِن مِرَّةٍ
بِظَعَنٍ أَوْدَى بِهاَ فِي الْعَسَــقِ)

هذ افتنان من الناظم فى طريق إقناع الحادى فقوله : هب أى اعتقد وافرض ، وهو فعل أمر لا يتصرف ، لأيديهن : المراد به ما يشمل اليدين والرجلين ، أبدا : أى قوة ، ولها : أى للنوق متنا : أى ظهرا متينا ؛ أى قويا ما خلا عن مصدق . أى شدة وصلابة فالظعن جمع ظعينة ، وهى المرأة ما دامت

فى الهودج أو مطلقا ومفعول حملت محذوف ؛ أى حملتهن، من مرة : أى قوة على ظعن فى الغسق . أى سير أودى بها ؛ أى أهلكها ، والغسق أول الليل ، وجنس بين أيديهن وأيدا ، ومتنا ومتينا ، وظعن وظعن .

(أَسَأْتَ لِلْغِيدِ وَلِلنُّوقِ وَلِى
إِسَاءَةً بِتَوْبَةٍ لَمْ تُمْحَقِ)

الغيد جمع غيداء ؛ وهى المرأة المتثنية من اللين والنعومة وأقام بهذا حجة أخرى على الحادى حيث جعل أساءته غير قاصرة على الإبل ، بل تعدتها إلى الغيد وإليه ، فهى إساءة عظيمة لا تمحوها توبة .

(لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ حِلْمِ أَحْنَفٍ
وَالمِنْقَرِى قَلْبِىَ ذَا تَعَلُّقِ)
(حَمَلْتُ رَأْسَكَ عَلَى شَبَا الْقَنَا
مُرَوَّعًا بِهِ حُدَاةَ الْأَيْنُقِ)

الحلم : الإغضاء والصفح ، والأحنف ؛ هو ابن قيس التميمى من سادات التابعين ، والمنقرى ؛ قيس بن عاصم صحابى

جليل ، وكلاهما ممن سادقومه واشتهر بالحلم ومكارم الأخلاق ، أما الأحنف فقد ضرب بهالمثل فى الحلم وطار صيته بذلك ،وأما قيس ين عاصم فقد قيل للأحنف . هل رأيت أحلم منك ؟ قال نعم قيس بن عاصم المنقرى حضرته يوما وهو محتب يحدثنا إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف ، فقالوا : أن هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته ، حتى إذا فرغ من الحديث التفت فقال لاحد أبنائه : قم إلى ابن عمك فأطلقه ، وإلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه . والناظم تهدد الحادى بأنه لولا تغليبه لجانب الحلم على جانب الانتقام لحمل رأسه على شبا . أى رءوس القنا . أى الرماح ، مروعا : أى مخوفا به حداة الأينق ليرتدعوا عن عن تحميلها ما لاتطيق .

(فَسُـقْ فلاَ نَعِمَ عَوْفُـكَ وَلاَ

أَمِنَ خَوْفُكَ وَلاَ تَدْرَنْفِـقِ)

يعنى أما وقد نجاك حلمى عنك فسق فلا نعم عوفك ، وهذا مثل ، والعوف البال والشأن ، فهو دعاء عليه ، ومثله . لا أمن خوفك ، وقوله لا تدر نفق ،أى لاتمش سريعا ، وهو دعاء عليه أيضاً .

(وَدَعْ يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَدْ

دَنَا وُلُوجُهَا بِوَعْرٍ ضَيِّقٍ)

أى واتركها تسوق نفسها بنفسها فقد قاربت أن تدخل فى طريق وعر ضيق لا يمكن سلوكها به إلا متتابعة يقدم بعضها بعضا ، أما أنت فسوقك العنيف يحرجها ويحملها على التدافع والتزاحم فى هذا المسلك الوعر فتعطب وتهلك ، وهذا من الناظم استدراج للحادى ليرتب عليه قوله :

(وَلْتَتَّخِذْنِي رَائِدًا فَإِنَّنِي

ذُو خِبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ)

الرائد : هو الذى يرسل فى طلب الكلأ ، أى ولتجعلنى رسولك ودليلك أرتاد لك المراعى الخصبة ، وأسلك بك الطرق القريبة ؛ فإننى على خبرة بمبهمات الطرق ؛ أى خفياتها ويستلزم ذلك علمه بواضحاتها بالأولى .

(إِنْ غَرِثَتْ عَلَفْتُهَا وَلَوْ بِمَا

جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ)

(أَوْ صَدِيَتْ أَوْرَدْتُهَا مِنْ أَدْمُعِي

نَهْرَ الأُبُلَّةِ وَنَهْرَ جِلِّقِ)

غرث ؛ جاع ؛ وبابه طرب ؛ والذهب معروف ، والورق الدراهم الفضة المضروبة ، وصدى كعطش وزنا ومعنى ؛ وأوردتها أى أحضرتها المورد، ونهر الأبلة بالبصرة ؛ وجلق دمشق الشام؛ ونهرها بردى ؛ وهما معا من أنزه الأماكن . وهذا من الناظم غاية الرعاية ومنتهى الكفاية ؛ اذ أنه تكفل للحادى بأنه لا يقتصر على الريادة فحسب ؛ بل يقوم بعلف الإبل ولو كلفه ذلك انفاق ما جمعه من مال ، وبوردها ولو كان مما لا ينال ؛ والعذر له فإنه ليس هو المتكلم ؛ ولكنه لسان الهوى يعبر ويترجم ؛ والإبل ليست هى المقصودة بالذات ولا مما يستحق هذا الالتفات ؛ ولكن السر فى السكن لا فى المسكن ؛ وكما قال المجنون :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

[رِفقاً بِهاَ شَفيعُها هوَارِجٌ

غَدتْ سَمَاءَ كُلِّ بَدْرٍ مُشْرِقِ]

[من كلِّ غَيْدَاءَ عَرُوبٍ بَضَّةٍ

رُعْبُوبَةٍ عَيْطَاءَ ذَاتِ رَوْنَقِ]

[خَرِيدَةٍ مَمْسُودَةٍ رَقْرَاقَةٍ

وَهْنَانَةٍ بَهْنَانَةِ المُعْتَنَقِ]

هذا انتقال من غرض إلى غرض ، وقد مهد له الناظم فأحسن ؛ فلما تخلص إليه لم يكن ثقيلا على السمع ؛ ولا نابيا عن الطبع ؛ والغرض المنتقل منه ذكر رحيل الأحبة ، ووصف الإبل التى تحملوا عليها ، والبيد التى تعسفوها ؛ ولوم الحادى على جده السير ليلا ونهاراً ؛ حتى أضر بالإبل ضرراً بليغاً ، وتذكيره بمن تحمل على ظهورها من النساء التى لاطاقة لهن بذلك السير العنيف ؛ وإظهاره شديد العطف على هذه الإبل حتى تبرع وهو يسر حسوا فى ارتغاء بالريادة لها والقيام عليها أحسن قيام؛ وهذه الفنون من الكلام هى ما يعبر عنه الأدباء بالنسيب ؛ والغرض المنتقل إليه التغزل بصفات محبوبه ؛ وذكر ما هو عليه من فنون المحاسن وضروب المفاتن فقوله : « رفقا بها شفيعها هوادج »هو من الكناية عن الحال باسم المحل إذا قلنا أنه يتشفع إليه بتلك السيدات اللاتى داخل الهوادج ؛ أو الكلام على حقيقته ، وإنما صانهن عن التشفع بهن قصداً ، لأنه يرى أن قدرهن أرفع من التوسل به إلى الحادى ، وفى البيت استعارة وتشبيه فإنه لما استعار البدور المشرقة للنساء شبه الهوادج بالسماء وقوله : «من كل غيداء » بيان لكل بدر ، والغيداء تقدم تفسيرها ؛ والعروب : الحسنة الجميلة ؛والبضة ؛ الرخصة البدن ؛ الناعمة ، والرعبوبة : البيضاء المنعمة ؛ والعيطاء : طويلة العنق وهو مما يتمدح به ؛ ويكنون عنها ببعيدة مهوى القرط . ذات رونق ؛ أى صاحبة حسن ورواء ؛ والخريدة؛

البكر التى لم تمس ؛ ويقال لؤلؤة خريدة لم تثقب ؛ والممسودة: المجدولة الخلق المشوقة القد ؛ والرقراقة : المتلألئة البراقة ؛ والوهنانة : الكسلى عن العمل تنعما ؛ وعنها كنى امرؤ القيس بقوله : «نئوم الضحى »وبهنانة المعتنق : طيبته لينته .

[وقُل لربَّات الهوَادج انجَلِيـ

ـنَ آمنات فَزَع وفرق]

[فإنى أشجعُ مِنْ رَبيعـة

حَامِى الظَّعِينَةِ لدى وقت اللُّقِى)

ربات الهوادج ؛ صاحباتهـا ، وهن النساء اللاتى وصفهن فى الأبيات قبل ، وانجلين ؛أبرزن وأظهرن ، وآمنات حال من فاعل أنجلين ، والفزع ، الذعر ، والفرق : الخوف : أى وقل أيها الحادى لصاحبات الهوادج : ينجلين غير متخوفات أن يدنو منهن أحد ، فإننى عند اللقاء فى الحرب أشجع من ربيعة حامى الظعينة: أى المرأة ، وأراد به الجنس ، إذ هو فى المثل جمع ، ولفظه : أحمى من مجير الظعن ، وهو ربيعة بن مكدم ، الكنانى ، وكان من خبره : أن نبيشة بن حبيب السلمى خرج غازياً فلقى ظعناً من كنانة بالكديد ، فأراد أن يحتويها فمانعه ربيعة بن مكدم فى فوارس وكان غلاما له ذؤابة فشد عليه نبيشة فطعنه ، فأتى ربيعة أمه فعصبته واستسقاها ، فقالت : إذهب فقاتل القوم فإن الماء أمامك ، فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع

إلى الظعن وقال : إنى لمائت وسأقف بفرسى على العقبة ،وأتكىء على رمحى ، فإن فاضت نفسى كان الرمح عمادى ، فالنجاء النجاء، فوقف ساعة حتى نزفه الدم ، ففاظ أى مات وطال وقوفه فاشتبهوا فى أمره ، فرموا فرسه فقمص وخر ربيعة لوجهه ، فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن.. قال أبو عمرو بن العلاء : ما نعلم قتيلا حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم .

(فَرُبَّمَا يبْدُو إذَا بَرَزْنَ لِى
رِيمٌ إلَيْهِ طَارَ بِى تَشَوُّقِى)
(لُبْنَى وَمَا أَدْرَاكَ مَا لُبْنَى بِهَا
عُرِفْتُ صَباًّ مُغْرَماً ذَا قَلَقِ)

رب:حرف جر للتقليل أوالتكثير حسبما يستفاد من الكلام، وتوصل بما كما هنا ، وتخفف أيضاً كما فى قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » فى قراءة نافع وحفص ، ويبدو : يظهر : وبرزن : ظهرن . والريم مهموزا ومخففا : الظبي الخالص البياض ، جمعه آرام ، ولبنى بدل من ظبي : وهو اسم محبوبته ، وقوله : وما أدراك ما لبنى هو استفهام : مقصود به التعظيم لشأنها : أى وما أعلمك مالبنى هذه التى عرفت واشتهرت بها صبا : أى عاشقا ، مغرما ، ذا قلق .

(تَسْبِى بِثَغْرٍ أَشنَبٍ وَمَرْشَفٍ
قدِ ارْتَوَى مِنْ قَرْقَفٍ مُعَتَّقِ)
(وَنَاعِمٍ مُهَيْكَلٍ وَفَاحِمٍ
مُرَجَّلٍ وَحَاجِبٍ مُرَقَّقِ)
(وَعَقبٍ مُحَجَّلٍ وَمِعْصَمٍ
مُسَوَّرٍ وَعُنُقٍ مُطَوَّقِ)
(وَمُقْلَةٍ تَرْمِى بقَوْسِ حَاجِبٍ
لاَحِظُهَا بِسَهْمِهَا الْمُفَوَّقِ)

تسبى : أى تأسر ، والمفعول الذى هو المسبى محذوف لعلمه من الكلام : أى لب الرجل ، والثغر : مقدم الأسنان، والأشنب البارد ، والمرشف . ما يرشف : أى يمص من الفم . وقدارتوى: جملة فى موضع الوصف لمرشف والقرقف الخمر ، والمعتق من عتق الخمر : تركها تحسن وتجود ، وفى الكلام استعارة ، إذ مراده بالقرقف : ريقها الذى يشبه الخمر فى الطيب والإسكار . وقوله : وناعم صفة لموصوف محذوف أى وجسم ناعم، والمهيكل. الضخم . وقوله . وفاحم موصوفه محذوف أيضاً : أى وشعر فاحم أى أسود . وقوله : وعقب محجل ، العقب : مؤخرة القدم ،

والمحجل : الذى فيه حجل وهو الخلخال. وقوله : ومعصم مسور، المعصم : موضع السوار من اليــــد ، والمسور : ذو السوار ، والسوار : الدملج . وقوله . وعنق مطوق : أى ذى طوق ، والطوق ؛ القلادة . وقوله : ومقلة الخ . المقلة : مجموع شحمة العين بسوادها وبياضها وترمى بقوس حاجب : أى عنها ، والحاجب يشبه بالقوس لتقوسه وانعطافه مثلها، وفيه تورية بقوس حاجب ابن زرارة التيمى وسيأتى الـكلام عليها عند الناظم ، ولا حظها: أى ناظرها مفعول ترمى ، بسهمها المفوق السهم النبل الذى يرمى عن القوس والمفوق: الذى جعل له فوق[1] وهو شق فى رأس السهم حيث يقع الوتر ، وفى هذه الأبيات وقع للناظم وصف المؤنث بالمذكر مرتين فى قوله : قرقف معتق ، وفى قوله : وعقب محجل ، وكلا القرقف والعقب مؤنث ، ويخرج على مذهبهم فى تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه علامة تأنيث وقام مقامه لفظ مذكر قال الشاعر :

والعين بالأثمد الحازى مكحول

فذكر على معنى الطرف ؛ والعقب لها مرادف مذكر : وهو العرقوب ، والقرقف يرادفها الخمر ، وتذكر فى لغة .

---

(١) بضم الفاء

(تَمْنَعُ مَسَّ ثَوْبِهَا لِجِسْمِهَا
ثَلَاثَةٌ مِثْلُ الْأَثَافِي فِي الرُّقِي)

(حُقَّانِ مِنْ عَاجٍ وَقَعْبُ فِضَّةٍ
مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِن كَالشَّفَقِ)

الأثافى جمع أثفية وهى حجر توضع عليه القدر . وقولهم فى المثل : رماه الله بثالثة الأثافى ، يعنون الجبل لأنهم قد يسندون القدر عليه وعلى حجرين آخرين يدعونه ثالثة الأثافى فى الرقى أى الصعود ، وأراد به البروز ثم أبدل من ثلاثة قوله : حقان من عاج ، الحق : العلبة ، والعاج معروف ، وقعب فضة ، القعب القدح الضخم الغليظ ، واضافته إلى فضة بيانية : أى من فضة وقوله : من ظاهر خبر لمبتدأ محذوف : هذا من ظاهر ، ويصح تعليقه بفضة . وباطن كالشفق جملة من مبتدأ وخبر معطوفة أو مستأنفة ، والمسوغ للابتداء بالنكرة مافيها من معنى التفصيل والشفق ؛ حمرة الغروب ،والمعنى تحول دون مباشرة ثوبها لجسمها ثلاثه أشياء هى مثل الأثافى فى البروز . حقان من عاج ، وقعب ظاهره أبيض كالفضة ، وباطنه أحمر كالشفق ، وهو يعنى الثديين وملس العفاف ، فاستعار الحقين والقعب لذلك ، وكنى بهذا عن امتلائها وتماسكها .

(وَزَادَ مِسْكُ الخَالِ وَرْدَ خَدِّهَا

حُسْناً وَقَدْ عَمَّ بِطِيبٍ عَبِقِ)

(وَقبّلَتْ أَقْدَامَهَا ذَوائِبُ

سُودٌ كَقَلْبِ العَاشِقِ المُحْتَرِقِ)

المسك طيب معروف ، والخال الشامة السوداء ، تكون فى البدن ، والأكثر أنها التى بالخد ، والعبق : الفائح . وقد عبق كفرح ، والخال لامسك له ، ولكنه استعاره كما استعار الورد للخد ، وقبلت : التقبيل اللثم ، والذوائب جمع ذؤابة ، وهى الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة فإن كانت ملوية فهى عقيصة ، وذؤابة كل شىء أعلاه ، ومنه قولهم : هو فى ذؤابة قومه : أى فى أعلاهم نسباً ومجدا ، وسود نعت له وفى هذا كناية عن طول شعرها ، ونسبة التقبيل للذوائب استعارة ، ويريد بالعاشق المحترق نفسه

(كَمْ أَوْدَعَتْ فِى مُقْلَتِى مِنْ سَهَرٍ

وَأَضْرَمَتْ فِى مُهْجَتِى مِنْ حَرَقِ)

وَلاَ يَزَال فِى رِيَاضِ حُسْنِهَا

يَسْرَحُ فِكْرِى وَيَجُولُ رَمَقِى)

كم للتكثير ، وأودعت : استحفظت ، وأضرمت : أوقدت ، والمهجة : النفس ،وجمعها مهج ، وقيل المهجة دم القلب ، والحرق النار ، والمعنى على المجاز والاستعارة فإنها لم تودع فى مقلته شيئاً ، ولكنها كانت السبب فى ذلك فأسند الفعل إليها مجازا ، والاستعارة فى التعبير عن سهر مقلته بسببها وعذاب قلبه بحبها بالإيداع والأحراق ، وفى جعله لحسنها رياضــــاً يسرح فيه فكره ويجول رمقه .

[وَلَاتَسَلْ عمّا أبثُّ من جَوىً
وما تُرِيقُ من دموع حدَقى]
(يَوْمَ اشتَكى كُلٌّ بِمَا فِى قَلبْهِ
لِحِبِّهِ بِطَرْفِهِ بِمَا لقى)

لا تسل مضارع سال مخففة وتخفيفها لغة . قال تعالى : « سال سائل » وأبث : أظهر ، والجوى : سقم الجوف من طول المرض ، أو تأثير الحزن فى القلب ، وتريق : تسكب وتهرق ، والحدق جمع حدقة : وهى سوادالعين الأعظم ، والحب : الحبيب كالخدن والخدين : والطرف : العين : أى لا تسل عن شـــدة ما أظهرته من الحزن وكثرة ما سكبته من الدموع يوم اشتكى كل منا لصاحبه : يعنى نفسه وحبيبته بإشارة طرفه بما فى قلبه من ألم الحب والهوى وتبريح الشوق والنوى فحبهما إذاً متبادل، وشوقهما متعادل وقوله : بمـا لقى يصح أن يكون بدلا من قوله : بما فى

قلبه ، وأن تكون الباء سببية ، والتقدير يوم اشتكى كل بما فى قلبه بسبب مالقى : أى منه وفى قوله : أبث وتريق مخالفة لمقتضى السياق، إذ كان حقه أن يقول : يوم بثت وأراقت ، لأن ذلك كان يوم إفضائه لها بحبه وشكايته اليها بجوى قلبه ، ولكنه عبر بالمضارع حكاية للحال واستحضارا لتلك الصورة فى ذهن المخاطب حتى يكون كأنه يشاهدها على حد قوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا » وهو كثير فى الكلام البليغ .

(مَا عُذْرُ مَنْ يَشْكُو الْجوَى لِمَن جَفَا

وَهُوَ لِدَمْعِ عَيْنِهِ لَمْ يُرِقِ)

ماعذر : استفهام إنكارى مفاده النفى : أى لا عذر لمن يشكو الجوى للحبيب الذى جفا فى عدم إراقة ماء شئونه ، والتعبير بذلك عما يعالج من غمرات شجونه ، والجفا هنا : المراد به البين والفراق ، لا القطيعة والهجران لأنه قدم أيضاً أنها تحبه وتهواه ، وجملة ، وهو لدمع عينه لم يرق حال

(آهِ عَلَى ذِكْرِ لَيَالٍ سَلَفَتْ

لِى مَعَهَا كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ)

(فِي مَعْهَدٍ كُنَّا بِهِ كَنَخْلَتَيْ
حُلْوَانَ فِي وَصْلٍ بِلاَ تَفَرُّقِ)

آه : اسم فعل بمعنى أتوجع ، والذكر مصدر كالتذكر ، وسلفت مضت، وهو من باب قعد، والبارق : السحاب ذو البرق، ، والمؤتلق : اللامع ، شبه ليالى الوصل به فى سرعة الذهاب وقلة اللبث . والمعهد المكان لا يزال القوم يتعاهدونه أى يرجعون إليه ويترددون عليه ، والباء فى به ظرفية بمعنى فى ، ونخلتا حلوان ، هما نخلتان كانتا بعقبة حلوان من غرس الأكاسرة يضرب بهما المثل فى طول الصحبة وقدم المجاورة ، وللشعراء فيهما شعر كثير ومنه قول مطيع بن إياس :

أسعدانى يا نخلتى حلوان وارثيا لى من ريب هذا الزمان
ولعمرى لو ذقتما ألم الفر قة أبكاكما الذى أبكانى
أسعدانى وأيقنا أن نحسا سوف يلقاكما فتفترقان

وقد صدق هذا الشاعر ، فإنه لما خرج الرشيد إلى طوس هاج به الدم وهو بحلوان فنعت له الطبيب الجمار ، ولم يكن هناك نخل إلا هاتين النخلتين فقطعت أحداهما وأتى بجمارها فلم تلبث

الأخرى أن ذبلت وماتت ، ولما أخبر بذلك أسف وقال : لو علمت ما قطعتها ولو قتلنى الدم .

[نِلْنا بِه ما نَشْتَهى من لَذَّةٍ
وَدَعةٍ فى ظلّ عَيْشٍ دَغْفَق]

(أزْمان كَانَ السَّعْدُ لِى مُساعِداً
وَمُقْلَةُ الرَّقِيب ذَاتُ بَخَق)

نال خيراً ينال نيلا : أصاب ، والدعة : الخفض وسعة العيش وفعله ودع ككرم ، والعيش الدغفق : الواسع ، وعام دغفق : مخصب ، ودغفق الماء : صبه صبا كثيراً ،والعيش لاظل له ولكنه استعار ،وأزمان ظرف يتعلق بنِلْنا ، والسعد : الحظ ، والمساعد : المواتى ، والرقيب : الحارس والمنتظر : وبابه دخل ، ويطلقه الشعراء والمحبون على المزاحم الذى يترصد الحبيبين ويتسبب فى اقلاقهما وعدم تلاقيهما ، وذات بخق : أى عوراء وقد بخقت عينه من باب فرح فهى بخقاء وباخقة ،وبخقتها أنا، وبأبه قطع . المعنى ذلك العهد أصبنا فيه ما شئنا من لذة العيش وبلهنيته وخفضه ورفهنيته أيام كان فلك الأقدار بسعادتى جاريا. وكان الرقيب عنا غافلا ساهيا .

(وَاليَوْمَ قَدْ صَارَ سَلاَمُ عَزَّةٍ
يُقْنِعُ مِنْ لُبْنَى إذَا لَمْ نَلْتَقِ)

يعنى وقد حالت اليوم تلك الحال ، وتبدلنا الفراق من الوصال ، فصرت أقنع من لبنى بتسليمها ، وأكتفى بحقيرها عن عظيمها ؛ وهو يعنى بذلك ما كان من إشارتها له بطرف العين ، وشكواه إليها كذلك كما تقدم فى قوله :

يوم اشتكى كل بما فى قلبه ... ...

ولمح بسلام عزة إلى ما روى من أن كثيراً وقف مرة على عزة وهو متحمل من مصر فقال عليك السلام يا عزة فقالت عليك السلام يا جمل ، فقال ؛

حيتك عزة بعد الهجر فانصرفت
فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما زلت ذامقة
عندى وما مسك الادلاج والعمل
ليت التحية كانت لى فأشكرها
مكان يا جمل ، حييت يا رجل

(وَاللهِ لَوْ حَلَّتْ دِيَارِ قَوْمِهَا
وَاحْتَجَبتْ عَنِّى بِبَابٍ مُغْلَقِ)
(لَزُرْتُهَا وَاللَّيْلُ جَوْنٌ حَالِكٌ
وَجَفْنُهَا لَمْ يَكْتَحِلْ بِأَرَقِ)
(مَعَ ثَلاَثَةٍ تَقِى صَاحِبَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الْوِقَايَةِ تَقِى)

وفى هذه الأبيات انتقال من غرض التغزل إلى غرض التحمس وهو مناسب لما كان فيه من شكوى الحال وتذكر أيام الوصال لأن ذلك مما يهيج الحمية، ويحرك النخوة فى النفس الأبية، فلذلك قال: وأقسم، والله لو حلت. أى نزلت يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وبابه قعد، ديار قومها: يعنى منازلهم، واحتجبت أى استترت وتمنعت، بباب مغلق: مسدود لزرتها: جواب القسم على القاعدة فى أنه إذا اجتمع فى الجملة شرط وقسم، فالجواب للسابق منهما، والليل: الواو للحال، والجون: الأسود، ويطلق بالاشتراك على الأصفر، وجمعه جون وحالك مظلم جداً وفعله حلك كفرح، وجفنها الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل، وجمعه

أجفان وجفون ، لم يكتحل بأرق . أى سهر . وقد أرق كفرح: يريد وهى نائمة والجملة كسابقتها فى موضع الحال . قوله مع ثلاثة. أى مصحوبا بثلاثة ، تقى صاحبها : أى تدفع عنه . ونون الوقاية هى التى تلحق الفعل حين اتصاله بياء المتكلم لوقايته من الكسر الذى لايكون فى الأفعال . مثل علمنى ويعلمنى . وهذا اقتباس من علم النحو . وفيه مراعاة النظير . فإن الكسر الذى تقيه نون الوقاية يناسب العطب الذى تقيه هذه الثلاثة .

(سَيْفٍ كَصَمْصَامَةِ عَمْرٍو بَاتِرٍ

لاَ يُتَّقَى بِيَلَبٍ وَدَرَقِ)

سيف بالكسر على البدلية من ثلاثة أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها سيف . وباتر من بتر . أى قطع . وبابه نصر . لا يتقى لا يحترز منه بيلب . واليلب . المراد بها هنا الدروع . وهو اسم جنس جمعى . واحده يلبة . والدرق جمع درقة ، وهى الترس . والصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن شجعان العرب المعدودين. وهو من سيوف العرب المشهورة . ويضرب به المثل فى حسن المضاء وكرم الجوهر .

(وَبينَ جَنْبىَّ فؤَادُ ابْنِ أبِى
صُفْرَةَ قَاطِعِ قَرَا ابْنَ الأزْرَقِ)

الجنب : الشق من الإنسان وغيره. وهما جنبان. والجمع جنوب والفؤاد. القلب وقاطع صفة لابن أبى صفرة والقرا : الظهر أى وقلب بين جنبى مثل قلب ابن أبى صفرة فى الثبات والشجاعة وابن أبى صفرة هذا هو المهلب المشهور القائد والأمير فى أيام بنى أمية. وابن الأزرق هو نافع بن الازرق الخارجى رأس الأزارقة إحدى فرق الخوارج وكان شجاعاً مقدماً فى فقه الخوارج. وظهر أمره فى أيام ابن الزبير. واستمر إلى أيام عبدالملك بن مروان. وغلب على كثير من البلاد. وكان كلما سار إليه جيش رده مهزوما، فلما صمد إليه المهلب لم يقدر عليه، وعالج المهلب من قتاله وقتال أصحابه أمراً شديداً وتغلب عليه بالمطاولة بعد نحو العشرين سنة، فلذلك قال الناظم. قاطع قرا ابن الازرق. وأعقب ذكر السيف بالشجاعة لأنها لازمة له، ولابد منها فى إفادة الغرض المطلوب كما قال الطغرائى :

وعادة النصل أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا فى يدى بطل

حتى الصمصامة لما طلب عمر رضى الله عنه من عمرو بن معد يكرب أن يريه إياه فاحتقره. قال يا أمير المؤمنين إنك طلبت منى السيف ولم تطلب منى الذراع الذى يضرب به.

(وَفَرَسٌ كَدَاحِسٍ أَوْ لَاحِقِ
يَوْمَ الرِّهَانِ شَأْوُهُ لَمْ يُلْحَقِ)

الفرس معروف ويقع على الذكر والأنثى وربما قالوا فرسة وجمع من لفظه على فرسان وفوارس ، والثانى شاذ ، ومن غيره على خيل ، وداحس اسم فرس لقيس بن زهير العبسى يضرب به المثل فى الشؤم ، لأن الحرب جرت بسببه بين ذبيان وعبس أربعين سنة ، ولاحق اسم فرس لمعاوية بن أبى سفيان، والرهان : المسابقة بين الخيل على سبق ، والسَّبَقُ ما يجعل للسابق ، والشأو : الغاية والمـــدى .

(تَقْدَحُ نِيرَانَ الْحُبَاحِب حَوَا
فِرُهُ عِند خَبَبٍ وَطَلَقِ)

قدح النار : أوراها ، وبابه قطع ؛ والنيران : جمع نار قلبت الواو فيه ياء لانكسار ما قبلها ، وتجمع أيضاً على نور وأنوُر والحباحب : ذبابة تطير بالليل ، ويرى فى طرف جناحها شعاع كالسراج ، فمنه قيل للنار الضعيفة نار الحباحب ، وللنار التى توقدها الخيل بسنابكها من الحجارة ، والحوافر : جمع حافر . وهو للدابة بمنزلة القدم للإنسان . والخبب : نوع من العدو وهو أن يُراوِحَ

الفرس بين يديه ورجليه ، والطلق . الشوط . أى جرى الفرس لا يحتبس إلى غاية ، يقال عدا الفرس طلقا أو طلقين ، كما يقال شوطاً أو شوطين .

(كَالرِّيحِ فِي هُبُوبِهِ وَالسِّمْعِ فِي
وَثُوبِهِ وَكَالْمَهَا فِي فَشَقِ)

أى هذا الفرس هو فى هبوبه: أى سرعته كالريح ، وفى وثوبه كالسمع وتقدم أنه ولد الذئب من الضبع ، وهو فى عدوه أسرع من الطير، ووثبته أكثر من ثلاثين ذراعا،وفى فشقه : أى نشاطه ومرحه . كالمها جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية .

(بِهِ أَجُوسُ فِي خِلاَلِ دَارِهَا
وَأَنْثَنِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ)

جاس خلال الديار . إذا تخللها ، فطلب ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار . أى يطلبها ، وبابه قال ، واجتاسها مثله ، وأنثنى رجع وانعطف ، والبارق المؤتلق سبق تفسيره .يقول . إنه بهذا الفرس يمكنه أن يغير على منازل قومها فيفتقدها فيها ثم يعود عوده على بدئه فى مثل سرعة البرق الساطع ذى النور اللامع .

(فانْ تَكُ الزَّبَّا دَخَلْتُ قَصْرَهَا
وَكَـقَصيرٍ سُقْتَهَا لِلنَّفَقِ)

الضمير فى تك لمحبوبته لبنى ، وتك مضارع كان الناقصة ، حذف نونها تخفيفاً ، ولا يحذف إلا إذا لم يله ساكن ولا ضمير متصل وكان مجزوماكما هنا ، والزبا:اسم أمرأة وهو ممدود وقصره ضرورة ، وقصير : اسم رجل ، والنفق : سرب فى الأرض له مخلص إلى مكان ، والزباء هذه هى بنت عمرو بن الظرب صاحب الجزيرة وقنسرين ، وكان جذيمة بن الأبرش ملك الحيرة غزا أباها فقتله فأَطْمَعَتْهُ فى نفسها ووعدته أن تتزوج به فمشى إليها فاغتالته ، وأراد قصير أحد رجاله أن يأخذ بثأره ، فجدع أنفه ولحق بها ، فقال إن عمرا ابن أخت جذيمة قد فعل بى ما ترين ، زعم أنى أشرت على خاله بالخروج إليك حتى قتلته ، فأصغت إليه ووثقت به فاستعملته فى تجارتها بالعراق فأتاها بربح كثير أعطاه إياه عمرو المذكور ، فازدادت غبطتها به ، وذات مرة أتاها بدل السلعة برجال داخل الجوالقات على ظهور الجمال ، فلما أظلم الليل لم تشعر الا والمدينة قد دخلت عليها وهاجم عمرو قصرها فهربت من إلى نفق كانت اتخذته فى قصرها ، فاقتحمه عمرو عليها لمعرفته به من وصف قصير له ، فحينئذ مصت خاتما كان فى يدها مسموما وقالت ؛ بيدى لا بيد عمرو . فأرسلتها مثلا ،وماتت .

(وَمَنْ حَمَاهَا كَكُلَيْبٍ فَلَهُ

جَسَّاسُ رُمْحٍ رَاصِدٍ بِالطُّرُقِ)

حماه يحميه حماية: دفع عنه؛ وهذا شيء حمى. أى محظور لايقرب، وأحميت المكان؛ جعلته حمى، وككليب: حال من فاعل حمى والكاف اسمية بمعنى مثل، وكليب اسم رجل وقوله فله جساس رمح، الجملة جواب الشرط الذى هو من وإضافة جساس إلى رمح من إضافة الصفة إلى الموصوف أى رمح جساس يبحث عن المقاتل ويفرى الكلى والمفاصل، وراصد وصف لرمح، ومعنى راصد حارس ورقيب، والكلام على الاستعارة، والباء فى قوله بالطرق ظرفية، وفى قوله: جساس رمح تورية، فإن ما يتبادر إلى الذهن من معنى جساس أنه قاتل كليب، ولكن المراد معناه البعيد على ما أشرنا إليه: وهى مرشحه بذكر كليب ورمح وراصد بالطرق لزيادة التعمية، وكليب المذكور: هو وائل بن ربيعة التغلبى كان سيداً مطاعاً فى قومه يضرب المثل بعزته حتى أنه كان يحمى مواقع السحاب ولايورد مع إبله أحد، وجساس هو ابن مرة البكرى كانت أخته تحت كليب، واتفق أن البَسُوس التميمية خالة جساس حضرت عند أختها أم جساس مع جار لها فأرسل ناقته فى حمى كليب فرماها كليب بسهم فاستصرخت البسوس جساسا فرصد كليبا وقتله فكان قتله إحدى الكبر لمكانه من قومه.

وضرب بجساس المثل فى الفتك لذلك ، ثم أن المهلهل أخا كليب قام للأخذ بثأر أخيه فاتقدت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة وتعرف بحرب البسوس .

(لَا بُدَّ لِى مِنْهَا وإن تَحصَّنَتْ
بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ وَبِالْخَوَرْنَقِ)

البد : العوض ، وقولهم . لابد من كذا . أى لا مناص منه ، وتحصنت : تمنعت ، والأبلق . الفرد ، حصن قديم كان للسمو أل بن عاديا فى تيماء من أعمال تبوك يضرب به المثل فى العزة . وفيه يقول السمو أل .

لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله فوق الثرى وسما به
إلى النجم فرع لاينال طويل

والخورنق: هو قصر للنعمان الأكبر ملك الحيرة ؛ وكان من فخامة البنيان وحسن الاتقان على جانب عظيم؛ وللشعراء فيه كلام كثير .

(لَا بُدَّ لِى مِنها وَإنْ عَثَرْتُ فِى
ذَيْلِ الْحُسَامِ وَالسِّنَانِ الأَزْرَقِ)

عثر في ثوبه يعثر بالضم عثارا ؛ زل ؛ والاسم العثرة والذيل. الطرف وأصله للثوب ، واستعاره هنـا للحسام . وهو السيف . والسنان ؛ الرمح ؛ ويوصف بالأزرق لشدة صفائه وترقرق مائه وكنى بهذا عن كثرة الشجعان من قومها الذين يخفرونها إذ أنها لازم كثرة الأسلحة وأعتدة الحرب التي لم يبل (١) بالوطء عليها ولم يتهيب التعثر فيها .

(فإنْ ظَفِرْتُ بالمنى من وَصْلها
بالغتُ في صِيانة العِرْضِ النَّقى)

الظفر ؛ الفوز ؛ وقد ظفر بعدوه من باب طرب ؛ والمنى جمع منية ؛ وهي البغية ؛ والصيانة ؛ الحفظ ؛ والعرض ما يذم أو يمدح من الإنسان من نسبه وحسبه وما أشبه ذلك ؛ ويريد أنه إذا ظفر بما يتمناه من وصلها لم يقصر في إيثار العفـة والاستمساك بحبلها لـكي يبقى عرضه نقيا ويكون حبه عذريا ؛

(وَإنْ بَقِيتُ مِثْلَ مَا كُنْتُ فَلاَ
زِلْت بِفَيضَ مَضْجَعِي وَمُؤْرِقِي)

(أَشُنُّ كُلَّ غَارَةٍ شَعْوَا عَلَى
مَنْ يَحْمِهَا فِي مِقْنَبٍ وَفَيْلَقِ)

---

(١) بضم الياء وفتح الباء .

(وَفِي خَمِيس مِنْ خِيَارِ يَعْرُبِ
ذَوِي رِمَاحٍ وَخُيُولٍ سُبُقِ)
(مِنْ أُسْرَتِي بَنِي مُلُوكٍ فَهُمُ
أَطْوَعُ لِي مِنْ سَاعِدِي وَمَرْفِقِي)

أى وإن تكن الأخرى فلم أصل إليها ولم أظفر بها: فلا زلت إلخ؛ فلا دعائية اقترنت بالفاء لموضع الجملة من جواب الشرط؛ وبغيض فعيل بمعنى مفعل؛ والمضجع اسم مكان؛ من ضجع. أى وضع جنبه على الأرض وبابه قطع وخضع! فهو ضاجع، والنمرق كالنمرقة، الوسادة الصغيرة وهذه كناية عن هجران النوم. وقوله: أشن كل غارة: يقال شن عليهم الغارة. أى فرقها عليهم من كل وجه وبابه رد، وأشنها أيضاً والغارة، الخيل المسرعة المغيرة، والشعواء، الفاشية المتفرقة وهو ممدود. وقوله على من يحمها، الأصل يحميها لأن من هاهنا موصولة ولست جازمة، فحذفت الياء تخفيفاً، وبقيت الكسرة دليلا عليها. وهي لغة والمقنب: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة، والفيلق: الجيش العظيم، والجار والمجرور متعلق بأشن. وقوله: وفى خميس معطوف على مقنب، والخميس الجيش سمى بذلك لاشتماله على خمسة أقسام. مقدمة، وساقة، وميمنة، وميسرة، وقلب، ويعرب هو ابن قحطان أبو العرب

اليمانية ، وسبق جمع سبوق وقوله من أسرتى : بيان لخيار والأسرة أهل الرجل وذووه ، وبنى ملوك عطف بيان على أسرتى ، وهو لقب أسرته . وقوله : فهم أطوع لى من ساعدى ومرفقى : أى أكثر طواعية لى من هذين . وفيه إشارة إلى أنه عزيز فى قومه نافذ الأمر فيهم ، وما أحسن موقع الساعد والمرفق فى هذا المحل لاشتقاقهما من المساعدة والارتفاق .

ومن هنا انتقل الناظم من غرض الحماسة إلى غرض الفخر كما ترى .

(سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَينَا فَلَنَا

بِيمَنٍ مآثِرُ لَمْ تُمْحَقِ)

ابن خلدون : هو ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى المؤرخ والناقد الاجتماعى المشهور . وعلينا بمعنى عنا كما فى قول الشاعر :

إذا رضيت على بنو قشير

لعمر الله أعجبنى رضاها

واليمن . قطر معروف من بلاد العرب ، ومآثر جمع مأثرة بفتح الثاء وضمها وهى المكرمة ، لأنها تؤثر : أى يذكرها قرن بعد قرن ، والناظم نسبه فى حمير ملوك اليمن ، فلذلك

أحال على مراجعة ابن خلدون لمعرفته مآثر أسلافه ، ومفاخر جدوده .

(وَسَلْ سُلَيْمَانَ الْكَلاَعِي كَمْ لَنَا
مِنْ خَبَرٍ بِخَيْبَرٍ وَخَنْدَقِ)

(وَيَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ وتَبُو
كٍ وَالسَّوِيقِ وَبَنِي الْمُصْطَلِقِ)

الكلاعى: هو الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعى البلنسى المتوفى سنة ٦٣٤ وله كتاب (الاكتفا فى سيرة المصطفى) صلى الله عليه وسلم وهو الذى عناه الناظم لتضمنه الكلام على الغزوات المذكورة ، ومقصوده الفخر بمشاهد الأنصار هذه وغيرها مع النبى صلى الله عليه وسلم لأن أصل نسب الأنصار فى عرب اليمن فهو منهم ، وكم هنا استفهامية ، وخبرها الجار والمجرور ، ومن خبر تمييز لها ، وبخيبر متعلق بالاستقرار العامل فى الجار والمجرور ، وبين خبر وخيبر الجناس المذيل وخيبر وما بعدها أسماء مغازٍ له صلى الله عليه وسلم .

(بِهِمْ فَخَرْتُ ثُمَّ زَادَ مَفْخَرِي
بِأَدَبِي الْغَضِّ وَحُسْنِ مَنْطِقِي)

أى بهؤلاء فخرت لا بسواهم ، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر وفخر من باب نفع ، والمفخر مصدر ميمى ، والأدب المراد به هنا : علوم العربية من نحو وبيان ولغة وعروض ، وأيام العرب وأخبارها وما إلى ذلك ، والغض : الطرى ، يريد أنه ممن يفاخر بموجوده وجدوده ، وقديمه وجديده . لا كالذى يعول على الاحساب ويتجرد مر محاسن الآداب .

(وَزَانَ عِلْمِى أَدَبِى فَلَنْ تَرَى
مَنْ شِعْرُهُ كَشِعْرِىَ المُنَمَّقِ)
(فَإِنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِى يُشْتَفَى
بِهِ كَمِثْلِ العَسَلِ المُرَوَّقِ)
(وَإِنْ هَجَوْتُ فَهِجَائِى كَالشَّجَى
يَقِفُ فِى الحَلْقِ وَمِثْلَ الشَّرَقِ)

زان الشىء يزينه ، من باب باع : حسنه وزخرفه ، والعلم كذلك يزينه الأدب حتى أنهم يقولون : إجعل علمك ملحاً وأدبك دقيقاً ، وقوله : فلن ترى من شعره كشعرى المنمق : ذلك نتيجة اجتماع العلم والأدب اللذين ادعاهما لنفسه ، ولن : ليست لتأبيد النفى ولا لتأكيده ، والمنمق : المزين ، وقوله : فإن

مدحت ، المدح . الثناء الحسن ، وبابه قطع ، وكذا المدحة بالكسر والمديح والأمدوحة بضم الهمزة والمدح من أغراض الشعر العربي الغالبة فيه والمروق المصفى من روقت الشراب والراووق : آلة التصفية ، ونسبة الشفاء إلى العسل حقيقة لا مرية فيها ، وقد نطق بذلك القرآن . قال تعالى : «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاءللناس» ولكن نسبته إلى المديح مجاز ، وقوله : وإن هجوت. الهجاء ضد المدح ، وبابه عدا ، والشجا ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره، وقد شجى كصدى ، والشرق : الغصة ، وفعله كطرب .

(فإنْ يَكُ الشِّعْرُ عَضى غَيْرِى فقَدْ
أَطَاعَنِي فِي عَيهَقٍ وَحَنَقِ)

(وَإِنْ يَكُنْ سَيْفاً مُحَلًّى فلَقَدْ
أَبْلَى نِجَادَهُ عِنَاقُ عُنُقِى)

(وَإِنْ يَكُنْ بُرْداً فَقَدْ صِرْتُ بِهِ
مُعْتَجِراً دُونَ جَمِيعِ السُّوقِ)

(وَإِنْ يَكُنْ تَاجاً فقَدْ زَادَ سَناً
جَوْهَرُهُ مُذْحَلَّ فَوْقَ مَفْرَقِي)

(وَإِنْ يَكُنْ حَدِيقَةً فَطَالَمَا
نَزَّهْتُ فِيهاَ خاطِرِي وَحَدَقِي)

(وَإِنْ يَكُنْ بَحْراً فَقَدْ غُصتُ عَلَى
جَوْهَرِهِ وَكُنْتُ نِعْمَ الْمُنْتَقِي)

العيهق : النشاط ، والحنق : الغيظ ، وقد حنق عليه من باب طرب ، ومحلى مزينا ، والنجاد : حمائل السيف يقال فلان طويل النجاد ، يكنى بذلك عن طول قامته ، والعناق كالمعانقة مصدر عانق وهو مضاف إلى فاعله ، وهذه كناية عن الملازمة وطول الصحبة ، فهو يريد أنه قديم العهد بقوله مداوم عليه ، والبرد : الكساء ، ومعتجرا : مشتملا ، والسوق جمع سوقة وهو غير الملك من الناس ، وفيه تعريض بغيره من الشعراء وانتقاص لهم ، والسنا : الضوء ، وحل : نزل بالمكان ومنه سمى المكان محلا ، والمفرق بكسر الراء وفتحها وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر ، والحديقة : الروضة ذات الأشجار ،

والخاطر المراد به الفكر والبال ، والحدق : جمع حدقة ، وهي سواد العين . وغصت أي نزلت تحت الماء ، والغواص بالتشديد الذي يغوص البحر على اللؤلؤ ، وفعله الغياصة وقوله : وكنت نعم المنتقى : تذييل حسن ، والمنتقى : المتخير ، وقد أطنب الناظم في وصف قدرته على الشعر وتصرفه فيه التصرف المطلق تأييدا لدعواه ، وتأكيدا لتفوقه على منافسيه من الشعراء.

(وَهَلْ أَنَا إلاَّ ابْنُ وَنَّانَ الَّذِي
قَرَّبَهُ كُلُّ أَمِيرٍ مرْتَقِ)

هل : هذه بمعنى ما ، ولذلك أبطلها بإلا نظير قوله تعالى . « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » وابن ونان : كنية الناظم ، ويشير بقوله الذي قربه الخ . إلى ما كان من تقريب السلطان سيدي محمد بن عبد الله لوالده واختصاصه به واشتماله عليه لما كان عليه من حسن الشمائل وكمال الآداب ثم تقريبه له أيضاً بعد وفاة والده لما نظم هـذه القصيدة ، وقصده بها حتى جعله شاعره ، واصطفاه نديما له .

(أَحَقُّ مَنْ حُلِّيَ بِالأسْتَاذِ
والشَّيخِ الفَقِيهِ العَالِمِ المُحَقِّقِ)

(وَ بِالْمُحَدِّثِ الشَّهِيرِ وَالأَدِيب
وَالْمُجِيدِ وَالبَلِيغِ المُفْلِقِ)

(وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِدُونِ مِرْيَةٍ
سِيَّانِ مَنْ فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ)

(بِالشِّعْرِ وَالتَّارِيخِ وَالأَمْثَال
وَالأَنْسَابِ وَالآثَارِ سَلْ تُصَدِّقِ)

أحق بمعنى أولى ، وحلى : أى وصف ، والأستاذ : العالم الماهر ، والشيخ المراد به ، العالم المقتدى به المأخوذ عنه ، والفقيه صاحب الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية ، والمحقق : المبالغ فى تعرف حقائق المسائل والمحدث : صاحب الحديث ، وهو علم السنة النبوية ، والأديب : العارف بفنون الأدب ، والمجيد : المتقن ، والبليغ : المتصف بالبلاغة ، وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع كونه فصيحا ، والمفلق من أفلق الشاعر : أتى بالفلق : أى الأمر العجيب ، وبدون مرية : بغير شك ، وسيان تثنية سى بمعنى مثل ، واستغنوا به عن تثنية سواء ، وبالشعر متعلق بأعلم ، والأمثال جمع مثل : وهو ماشبه مضربه بمورده

والآثار جمع أثر ؛ وهو الكلام المأثور ؛ أى المنقول عن أئمة السلف رضى الله عنهم ، وهذه العلوم منها ما كان عند العرب ، ومنها ما حدث فى الإسلام ، وقد وصف الناظم نفسه فى هذه الأبيات بأوصاف ضخمة ولم يناسب بينها ، وإنما ذكرها حسبما سمح له الوزن .

(فَبَشِّرَنْ ذَاكَ الحَسُودَ أَنَّه

يَظْفَرُ فِى بَحْرِ الهِجَا بِالغَرَقِ)

(وَقُلْ لَهُ إذا اشْتَكَى مِنْ دَنِس

أَنْتَ الذِى سَلَكْتَ نَهْجَ الزَلَقِ)

(وَفُقْتَ فِى الجُرْءَة خَاصِى أَسَدٍ

قُمْتَ بِغَيْظِكَ وَبِالرِّيقِ أَشْرَقِ)

الحسود ؛ صيغة مبالغة ، من الحسد ، والبشارة لا تكون إلا بالأمر المحمود فهى هنا للتهكم كما فى قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » والدنس الوسخ ، ويستعار للمعنويات كالخلق والعرض ؛ أى تجاوزت فى الجسارة من يحاول خصاء

الأسد ، وهي محاولة لا شك في أنها جريئة ، وبالريق اشرق : أى غص بريقك . والمعنى : لا تشتك من هجائى لك فأنت الذى جاوزت حدك وساجلت من لا طاقة لك به .

(وَمَا الذِي دَعَاكَ يَاخَبُ إلى
ذَا الأُفعُوَان ذى اللِّسَانِ الفَرَقِ)

(نَطَقْتَ بِالزُّورِ أَمَا كُنْتَ تعى
أَنَّ البَلاَ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقَ)

(وَلَمْ تَخَفْ مِن شَاعِرٍ مَهْمَا انْتَضَى
سَيْفَ الهِجَا فَرَى حِبَالَ العُنُقِ)

الخب : بالفتح والكسر . الرجل الخداع ، وذا إشارة ، والأفعوان : ذكر الأفعى ، وهو أخبث الحيات ، واستعاره لنفسه ، وذى بمعنى صاحب ، والفرق ؛ المفروق كالقنص بمعنى المقنوص ، وفيه ترشيح للاستعارة ، لأن الفرق فى ألسنة الحيات معهود ، والزور ؛ الكذب ، وتعي ؛ تحفظ ، وجملة أن البلاء في موضع مفعول تعي ؛ أى هذا الكلام ، وهو من قول سيدنا أبى

بكر الصديق رضى الله عنه . وقوله : مهما انتضى سيف الهجا ؛ أى استله ، وهو استعارة ، وفرى ؛ قطع ، وحبال العنق ؛ المراد بها الأوداج ، وهو من قوله تعالى « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

(فَلْتَقِ نَفْسَكَ بِكَفِّكَ وَلاَ
تَسُمْ فَصِيحَ النُّطْقِ بِالتَّمَشْدُقِ)

(فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ وَاسْتَمِعَ إِلَى
نُصْحِ الْحَكِيمِ الْمَاهِرِ الْمُدَقِّقِ)

الإتقاء باليد من شأن الجبناء الذين لا يستطيعون الدفاع ، ولا يعرفون إلا الخضوع ، فهو كناية عن التسليم والقاء السلاح ، ولذلك يوجد فى بعض النسخ :

« ياصاح سلم للورى تسلم ولا ! الخ » وقوله ولا تسم هو مضارع سامه يسومه سوءا ، إذا تعرض له به ، وبالتمشدق متعلق بتسم ، ومعناه ، تكلف الفصاحة ، أى أبق عل نفسك ولا تفضحها بمطاولة من لا تستطيع له مطاولة ، ولا تطيق منه مساجلة ، وخير لك أن تلقى السلاح الذى لم تعرف كيفية

استعماله وتصغى إلى نصح الحكيم الماهر لتنتفع بمضامين أقوالـــه :

(فَكُنْ مُهَذَّبَ الطِّبَاعِ حَافِظاً
لِحِكَمٍ وَأَدَبٍ مُفْتَرِقِ)

(وَعَاشِرِ النَّاس بِخُلْقٍ حَسَنٍ
تُحْمَدْ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّفَرُّقِ)

التهذيب ، التنقية ، والطباع ! الخلق ، وهو مفرد وجمعه طبع ، ككتاب وكتب قال المتنبي :
يراد من القلب نسيانكم ويأبى الطباع على الناقل .

والمراد بالحكم والأدب المفترق : الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والنكت الرائقة ، والفقر الفائقة ، مما يحاضر به ويحسن موقعه فى مساقط الحديث ، وبه يستدل على مزيد فضل المتكلم وحسن أدبه ، وقوله وعاشر الناس ! أمر من المعاشرة وهى المخالطة ، وتحمد مجزوم فى جواب الطلب ؛ أى يحمدك الناس عليه حتى بعد أن تفارقهم :

(وَلاَ تُصَاحِبْ مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ

فَضْلاً بِلا فَضْلٍ وغَيْرَ المُتَّقِي)

(وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ

فَضْلٍ فَلاَ تُطْعِمْهُ بِالتَّمَلُّقِ)

الذى يرى لنفسه فضلا بلا فضل هو المدعى المتحلى بما ليس فيه ، وأول نقصه الكذب ،وكذبُه ، أشنعُ الكذب لأنه يكذب نفسه والناس . وقوله وغير المتق من عطف الخاص على العام ، نكتته التنبيه على مزيد ضرر هذه الصحبة فى الدين والدنيا . وقوله . وكل من ليس له الخ معناه : لا تتملق لمن ليس له عليك فضل فى علم ولا دين ، وتتواضع له فتطمعه فى نفسك ويزدريك ويخزيك ، وفى الحديث: من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه » .

(وَفَوِّقَنْ سَهْمَ النُّمَيْرِىِّ لِمَنْ

لِطُرُقِ الْعَلْيَاءِ لَمْ يُوَفَّقِ)

فوق السهم : جعل له فوقاً بالضم ، وهو شق فى رأسه حيث يجعل الوتر ، وسهم النميرى . مثل مضروب فى الإصابة وعدم

الخطأ والنميرى صاحبه . هو أبو حية الشاعر زعم أنه عرض له مرة ظبي فرماه بسهم فراغ عنه فعارضه ، فما زال حتى أقصده وهذا من أكاذيبه ، وطرق العلياء : المراد بها أسباب المجد وما يكسب الحمد ، والتوفيق التيسير : أى لاتقصر فى ملامه وانتقاصه ، مثل سهم النميرى فى طلب الصيد واقتناصه .

(وَافْعَل بِمَنْ تَرْتَابُ مِنْهُ مِثْلَ
فِعْلِ الْمُتَلَمِّسِ اللَّبِيبِ الْحَذِقِ)

(أَلْقَى الصَّحِيفَةَ بِنَهْرِ حِيرَةَ
وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعدوَابْرِقِ)

ترتاب منه : تشك فيه ، والمتلمس : اسم رجل ، واللبيب : العاقل ، والحذق : الماهر ، وألق : رمى ، والصحيفة :الكتاب، وبنهر حيرة . أى فيه وهى الحيرة ، وحذف أل للضرورة ، وقال . أى المتلمس. أرعد وأبرق أى تهدد الآن ،وأوعدماشئت وكان المتلمس وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على الملك عمرو ابن هند صاحب الحيرة ، فبقيا مدة لايصلان إليه ، وكأنه استخف بهما ، فهجاه طرفة فبلغه ذلك فهم بقتله لكنه خاف هجاء المتلمس أيضاً ، فقال لهما : لعلكما اشتقتما لأهلكما ؟ قالا: نعم.

فكتب لهما صحيفتين ، وقال : إذهبا إلى عاملي بالبحرين فقد أمرته أن يصلكما ، وكان في الصحيفتين الأمر بقتلهما ، فأما طرفة فمضى إلى العامل فقتله ، وأما المتلمس فإنه اشتبه بأمر الصحيفة فأعطاها إلى صبي فقرأها له فنجا بنفسه ، وبقي أمر صحيفته مثلا مضروبا في الحذر والأخذ بالحزم .

(وَلاَ تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقُوبٍ أَخاً
وَفِهْ وَفَاءَ السَّمَوْءَلِ بِالأَبْلَقِ)

(شَحَّ بِأَدْرُعِ امْرِىءِ الْقَيْسِ وَقَدْ
تَرَكَ نَجْلَهُ غَسِيلَ الْعَلَقِ)

الوعد يستعمل في الخير والشر ، والمراد هنا الخير ، إذ هو الذي يطلب فيه التنجيز وعدم التأخير ، فقوله : ولا تعد بوعد عرقوب : أي بمثل وعده ، وأخا مفعول بتعد ، وعرقوب رجل يضرب به المثل في إخلاف الوعد ، يقال أنه أتاه أخ له يسأله تمراً فوعده تمر نخلة من نخله ، وقال : إذا طلع فأتني : فلما طلع قال إذا أبلح ، فلما أبلح قال إذا أزهى ، فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال : إذا صار تمراً ، فلما صار تمراً جذه ليلا ولم يعطه شيئا ، فضربت العرب المثل به في الخلف . قال كعب بن زهير :

أضحت مواعيد عرقوب لنا مثلا   وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقوله :وفه هو فعل أمر من وفى ، ألحقت به هاء السكت . وقوله : وفا سموأل هو على حذف مضاف وموصوف : أى وفاء مثل وفاء السموأل ، وقصر وفاء ضرورة ،وحذف أل من السموأل لذلك ، وبالأبلق حال من سموأل وقوله شح : أى بخل ، والمراد لم يسلم ، وأدرع جمع درع : وهى القميص من الحديد يلبس فى الحرب . والنجل : الولد ، وغسيل فعيل بمعنى مفعول والعلق : الدم ، ويشير إلى قصة وفاء السموأل بن عاديا المشهورة والسموأل هذا : هو صاحب الأبلق الفرد الذى تقدم وصفه وكان امرؤ القيس الشاعر المشهور لما أراد الخروج إلى الروم استودع عنده مالا له ودروعا جيدة ، فلما هلك طالبه المنذر بتسليمها إليه فأبى فنازل حصنه وهدده بذبح ولد له كان خارج الحصن ،فامتنع عن تسليمها له ، فذبح ابنه وهو ينظر إليه ثم انصرف ووافى السموأل بالدروع فى الموسم فدفعها إلى ورثة أمرىء القيس ، فذلك حين يقول :

وفيت بأدرع الكنـــدى إنى   إذا ما خان أقوام وفيت

(وَمِثْلَ جَارٍ لِأَبِى دُؤَادَ لَا

تَطْمَعْ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالْأَحْمَقِ)

أبو دؤاد هذا : هو الأيادى الشاعر المشهور ، وجاره كعب ابن مامة الجواد المشهور ، وكان إذا جاوره أحد قام بشكل ما يصلحه وأهله ، وحماه ممن يريده ، وإذا مات وداه وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه . وقوله ومثل منصوب على الاشتغال بعامل مقدر يفسره ما بعد ، ويجوز رفعه بمرجوحية ومراد الناظم: الإرشاد الى التوسط فى الأمور أخذاً وتركا فإن جاراً مثل جار أبى دؤاد غير موجود ، لكن ليس معنى هذا انقطاع الجوار أصلا . وإنما ذلك على نسبة الزمان والمكان وأهلهما صلاحا وفسادا . فينبغى للعاقل أن لا يشتط فى طلب الكمال خصوصا عند فساد الوقت فإن ذلك من التعمق المذموم ، ثم عطف الناظم بهذا المعنى قوله :

(وَاحْمَدْ جَلِيساً لاَ تَخَافُ شَرَّهُ
وَكَابْنِ شَوْرٍ لَنْ تَرَى مِنْ مُطْرِق)

الحمد : الثناء ، والجليس : المجالس كالأنيس بمعنى المؤانس وهو مثله لفظا ومعنى : أى اكتف به إذا وجدته . فإن أمن شر الجليس اليوم خير كثير ، وكابن شور : وهو الجليس الذى يؤمن شره ويرجى خيره ، لن ترى من مطرق ، وابن شور : هو القعقاع بن شور أحد سراة التابعين يضرب به المثل فى حسن العشرة وكرم المجالسة ، كان إذا جلس إليه أحد وصله وأثنى عليه ولأحد الأعراب فيه :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولايشقى لقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

فهذا قول الناظم : لن ترى من مطرق . وهو اسم فاعل من أطرق : أى سكت فلم يتكلم أو ارخى عينيه ينظر إلى الارض :

(وَنمْ كَنَوْمِ الْفَهْدِ أَوْ عُبودَ عَنْ
عَيْبِ الْوَرَى وَالظَّنَّ لَا تُحَقِّقِ)

المراد بالنوم : التغافل ، فهو استعارة ، والورى : الناس ، والفهد : نوع من السباع بين الكلب والنمر ، يضرب به المثل فى كثرة النوم ، وعبود : عبد أسود نام سبعة أيام متوالية فضرب به المثل ، وقيل نام سبعة أعوام . وقوله والظن لاتحقق : أى إذا ظننت سوءاً بأحد فلا تحاول تحقيقه ، وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ينجو منها أحد :

الظن ، والطيرة ، والحسد» قيل فما المخرج منها يارسول الله؟ قال إذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

(وَلْتَكُ أَبْصَرَ مِنَ الْهُدْهُدِ وَالزَّ
رْقَا بِعَيْبِ نَفْسِكِ الْمُحَقَّقِ)

أى إذا أغضيت عن عيوب النـاس المظنونة فكن بعيوبك المحققة بصيرا . والهدهد : طائر ذو خطوط وألوان كثيرة يضرب به المثل فى قوة البصر ونفاذه ، والزرقاء بالمد ، وقصرها الناظم ضرورة ؛ هى زرقاء اليمامة امرأة مشهورة بقوة البصر كانت تبصر الشىء من مسافة ثلاثة أيام . قيل أنها رأت ذات يوم سرب قطا يطير بين جبلين وكانت لها قطاة ، فقالت .

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

فوقع فى شبكة صائد فوجد ستا وستين كما قالت .

(وَكُنْ كَمِثْلِ وَاسِطِيٍّ غَفْلَةً

عَنْ شَتْمِ ضَارِعٍ وَعَتْبِ سُقُقْ)

الواسطى نسبة إلى واسط . وهى مدينة بناها الحجاج بين البصرة والكوفة وكان يسخر أهلها فى البناء ، فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء فى المسجد فيجىء الشرطى فيقول : قم يا واسطى ، فمن رفع رأسه أخذه فتلك غفلة الواسطى ، والضارع الذليل ، والسقق : المغتاب :

(وَاعْدُ عَلَى رِجْلَى سُلَيْكِ هَارِباً
مِنْ قُرْبِ كُلِّ خُنْبُقٍ وَسَهْوَقِ)

العدو : الجرى . وقوله على رجلى سليك أى على مثلهما أى أجر جرى سليك هربا من قرب الخنبق : وهو البخيل ، والسهوق : وهو الكذاب ، والمراد : لاتخالطهما لئلا يؤذياك، وسليك: وهو ابن السلكة ، أحد العدائين العرب :

(وَكُنْ نَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ تَنْجُ مِنْ
مُنَقِّصٍ وَمِنْ طُرُوِّ الرَّنقِ)

أى كن مثل نديم الفرقدين فى إعتزال الناس تنج من منقص: أى ممن يقع فيك ويثلبك ، ومن طرو . أى حدوث ، الرنق : أى الكدر ، من رنق الماء بالكسر ككدر وزنا ومعنى ، ونديم الفرقدين : هو جذيمة بن الأبرش ، وكان قد اتخذ عدى ابن نصر اللخمى نديما : وهو شاب جميل من أبناء ملوك الحيرة اللخميين ، فرأته أخت جذيمة فأحبته فسألته أن يخطبها من أخيها ، فتحين وقت شرابه فطلبها منه فزوجه أياها ، فأشهد الحضور ومضى فدخل بها ، فلما أصبح غدا عليه وهو متضمخ بالخلوق ، فسأله ما هذه الآثار ؟ فقال آثار العرس ، فغضب جذيمة وهرب عدى ، وحلف جذيمة أن لا ينادم أحدا إلا

الفرقدين ، فكان يشرب كأسا ويصب لهما كأسين ، والفرقدان: كوكبان يدوران على القطب الشمالى قريبا منه ، يضرب بهما المثل فى طول الصحبة ، ويقال عليهما : فرقد بالإفراد ، وفراقد بالجمع :

وَكُنْ كَعَقْرَبٍ وَضَبٍّ مَعَ مَنْ

عَلَيْكَ قَلْبُهُ امْتَلاَ بِالْحَنَقِ)

امتلا مخفف امتلأ ، والحنق : الغيظ ، وقد حنق عليه من باب طرب : أى لا تصارح عدوك بالعداوة ، وخاتله مخاتلة العقرب والضب . والعرب تزعم أن بين العقرب والضب ألفة ، فهو يؤويها جحره ولا يأكل ولدها ، وهى تحرسه وتلسع من يقتحم جحره ، وفيهما قال الشاعر :

واخدع من ضب إذا جاء حارش أعد له عند الذنابة عقربا

(ثُمَّتَ لاَ تَعْجَلْ وَكُنْ أَبْطَأَ مِنْ

غُرَابِ نُوحٍ أَوْ كَفِنْدِ الْمُوسِقِى)

(مَضَى لِنَارٍ طَالِباً وَبَعْدَ عَا

مٍ جَاءَهَا يَسُبُّ فَرْطَ الْقَلَقِ)

أى وإذا ظفرت به فلا تعجل بالانتقام منه ، وتأن واصبر لئلا تدم ولات ساعة مندم ، فإن التأنى من الرحمن ، والعجلة من الشيطان ، وضرب المثل فى البطء بغراب نوح وفند الموسق، أما الغراب فهو الذى أرسله سيدنا نوح عليه السلام لينظر هل زالت المياه عن الأرض ، ويأتيه بالخبر فلم يرجع ،قيل أنه أبصر جيفة فوقع عليها . وأما فند فهو مولى لعائشة بنت سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه كان مغنيا ، وأرسلته مولاته ليأتى لها بنار فلقى عيرا خارجة إلى مصر ، فخرج معها ثم رجع بعد سنة فأخذ نارا ودخل عليها وهو يعدو ، فعثر بمرأى منها . وبدد الجمر ، فقال : تعست العجلة ، فهذا معنى قوله : مضا لنا إلخ ؛ وحذف التنوين من فند الموسق لالتقاء الساكنين ، والموسق : نسبة إلى الموسيقى بالياء وحذفها ، وقصره جاء ضرورة ، وفرط القلق : كثرته .

(وَخُذْ بِثَارِكَ وَكُنْ كَمَنْ أَتَى

بِالْجَيْشِ خَلْفَ شَجَرٍ ذِى وَرَقِ)

الثأر : الدم والمطالبة به ، وليس هذا مخالفا لما قبله ، فغاية ما سبق الحث على التروى ، ومعالجة الأمر بالرفق : وليس النهى عن الثأر بالإصالة ، وأشار الناظم إلى قصة طسم وجديس

وهما من القبائل البائدة ، وكان عليهما ملك من طسم ظالم غشوم . فاستذل جديسا ، واستباح حرمها فثاروا به وقتلوه واستأصلوا رجال قبيلته إلا قليلا ، فهرب منهم واحد يقال له رباح بن مرة ولجأ إلى حسان بن تبع أحد ملوك اليمن فاستنصره عليهم فنصره ومضى بجيشه حتى إذا كان على مسافة ثلاثة أيام من منازلهم ، قال أبيت اللعن ، أن فيهم امرأة ليس على الأرض أبصر منها ، تبصر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وإنى أخاف أن تنذر القوم بك، والرأى أن تأمر رجالك فيقتلعوا أشجار الأرض فيسيروا تحتها ، ففعلوا وساروا ، ورأت المرأة الأشجار مقبلة فأنذرت قومها وقالت إنى أخاف أن يكون من ورائها شر ، فتضاحكوا منها حتى صبحهم حسان وهم غارّون فأفناهم ، وهذه المرأة هى زرقاء اليمامة التى تقدم ذكرها .

(وَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ مِثْلَ بَيْهَسٍ

وَبِالْمُدَى لِخَمَ الْعُدَاةَ شَرِّقِ)

الفرصة النوبة : وهى اسم من تفارص القوم البئر . يقال جاءت فرصتك من السق : أى نوبتك ، وانتهاز الفرصة : اغتنامها والمبادرة إليها ، وبيهس هذا كان رجلا مغفلا مستهانا به فأغار

على أخوته وكانوا ستة أناس من أشجع ، فقتلوهم وتركوه لقلة غنائه ، فبقى مدة ولا طمع لأمه فى أخذه بثأر أخوته ، حتى إذا سمع مرة أن ناسا من أشجع فى غار يشربون فيه ، فانطلق بخال له يقال له أبو حنش حتى أقامه على فم الغار ثم دفعه فيه فقال ضربا أبا حنش ، فقال بعضهم : أن أبا حنش لبطل ، فقال : مكره أخاك لا بطل فصارت مثلا ، وضرب بيهس وخاله القوم فقتلاهم ورجعا بأسلابهم ، فضربت العرب المثل ببيهس فى النجدة والصرامة . وقوله : وبالمدى لحم العداة شرق المدى : جمع مدية وهى الشفرة ولحم العداة مفعول شرق مقدم عليه ، وشرق أمر من شرق اللحم : أى قطعه ، ومنه سميت أيام التشريق الثلاثة التى بعد يوم النحر ، لأن لحوم الأضاحى تشرق فيها .

(وَكَابنِ قَيس بِهِم كُنْ مولِماً
وَلِيمَةً شهِيرَةً كَالْفَلَقِ)

(يَوْمَ مِلاَكِهِ بِأُمِّ فَرْوَةِ
عَرْقَبَ كُلَّ ذَاتِ أَرْبَعٍ لَقِى)

ابن قيس هذا : هو الأشعث بن قيس الكندى ،سيد كندة ورئيسها المطاع فى الجاهلية والإسلام ، كان ممن أسلم فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بعد وفاته فاحتمل إلى أبى بكر، فقال : استبقنى لحربك ورد على زوجتى ، وكان قدخطب أم فروة أخت أبى بكر فى حياته صلى الله عليه وسلم ، ثم تأخر العقد فحقن أبو بكر دمه ورد عليه أهله فخرج ودخل السوق فاخترط سيفه ، ثم لم تلقه ذات أربع ألا عرقبها من بعير وبقرة، ففزع الناس إلى أبى بكر فبعث إليه فقال من كان له قبلي حق فليغد على ، وإنا والله لو كنا ببلدنا لأولمنا ، فلم تبق دار فى المدينة إلا دخلها من ذلك اللحم ، وضرب أهل المدينة المثل بوليمته قوله : بهم كن مولما . الضمير يعود إلى العداة ، والوليمة طعام العرس ، والفلق : الصبح ، والملاك : الزواج ، وهذا من تمام ما قبله يقول : إذا أمكنتك الفرصة من أعدائك فلاتقصر فى التنكيل بهم والانتقام منهم ، وأولم على ذلك وليمة مثل وليمة ابن قيس ، وهو فى هذا ذاهب مذهب المتنبي إذ يقول .

ومن عرف الأيام معرفتى بها
وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به
ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم

وَلاَ تَدعَ وَإنْ قَدَرْتَ حِيلَةً

فَهِىَ أَجَلُّ عَسْكرٍ مُدَهْدِقِ)

المدهدق اسم فاعل من دهدقت الشيء : كسرته ، وكذا دهقته : أى لا تدع الأخذ بوجوه الحيل ، لا فى حال عجزك فقط : بل حتى فى حال قدرتك ، لأن فى الحيلة بلوغ المراد مع تقريب الشقة وتقليل المشقة ، وهذا من قولهم : رب حيلة أنفع من قبيلة .

(إنْ كَانَ فى سفك دمِ الْعِدَا الشِّفَا

سَفْكُ دَمِ الْبَرِىءِ غَيْرُ أَلْيَقِ)

سفك الدم : إسالته ، وسفك من باب ضرب ، والعدا والعداة والأعداء واحد ، والشفا : اسم كان مؤخر ومقصور ضرورة ، وجملة سفك دم البرىء جواب الشرط ، وكان حقه أن يقترن بالفاء ، لكنه خرج مخرج قوله : « من يفعل الحسنات الله الله يشكرها » . وسفك مبتدأ ، وغير أليق خبره ، والمراد لائق ، وهذا البيت كالاستدراك على ما قبله : أى إذا أظفرك الدهر بمرادك من أعدائك ، فلا يطوح بك الغرور إلى الاعتداد بقدرتك فتعتدى على البرآء وتصير إلى ما كنت تستنكره من غيرك .

وَلاَ تُحَارِبْ سَاقِطَ القَدْرِ فَكَمْ
مِنْ شَاهَةٍ قَدْ غُلِبَتْ بِبَيْدَقِ)

(وَكَمْ حُبَارَى أَمَّهَا صَقْرٌ فَلَمْ
يَظْفَرْ بِغَيْرِ حَتْفِهِ بِالذَّرَقِ)

(وَكَمْ عُيُونٍ لِأُسُودٍ دَمِيَتْ
بِالعَضِّ مِنْ بَعُوضِهَا المُلْتَصِقِ)

(وَالخُلْدُ قَدْ مَزَّقَ أَقْوَامَ سَبَا
وَهَدَّ سَدًّا مُحْكَمَ التَّأَنُّقِ)

أى لا تنزل لحرب ساقط القدر : أى نازله ، والمراد بالحرب هنا : أسباب الخصام كلها ، وذلك لأن غلبته للإنسان من أكبر فأحاط العار ، والانتصار عليه كلا انتصار فأفادا الذم بالخطة من كلا جانبيها ، وارتبطت دواعي الخطة بطرفيها ، ومن قول أمرىء القيس فى المعنى :

(فإنك لم يفخر عليك كفاخر

ضعيف ، ولم يغلبك مثل مغلب)

وقد ضرب الناظم لا نتصار الوضيع على الرفيع أربعة أمثال : أولها شاة الشطرنج ، يكسِرُهُ بيذقُهُ ، وهما قطعتان من قطع رقعة الشطرنج : أولاهما تنزل منزلة الملك ، ولذا سميت بالشاه . والثانية بمنزلة الجندى فهى بآخر مرتبة فى نظامه ، وههنا اختلاف فى نسخ النظم ، ففى بعضها شاهة بزيادة تاء تأنيث ، وهى مؤولة باعتبار أن المراد القطعة المعروفة وفى نسخة أخرى شهة ولا وجه لها أصلا . وفى ثالثة شيه ، كأنه جمع شاه ولا مستند له ، وقول الناظم هذا : مأخوذ من قول ابن اللبانة . وربما قُرِئَت بالبيذق الشاة . وثانيها الحبارى ؛ وهو طائر معروف يضرب به المثل فى البله وهو مؤنث ، ولذا قال الناظم أمها : أى قصدها ، والصقر : طائر معروف من الجوارح ، والحتف : الهلاك ، والذرق : الخرء ، يقال ذرق الطائر يذرق ، من باب وضع ؛ وباء بالذرق للسببية ، وهو يشير إلى ما ذكره الجاحظ عن الحبارى ، من أن لها خزانة فى دبرها وامعائها ، لها أبدا فيها سلح رقيق فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتتف ريشه كله ، وفى ذلك هلاكه . وثالثها : الأسد تدمى عينه البعوضة . ورابعها الخلد الذى خرب سد مأرب فغاض السيل على بلاد اليمن فأهلكها ، وهو سيل العرم المذكور فى القرآن العظيم ، والخلد :

ضرب من الفيران يعيش تحت الأرض ، ليس له عينان ولا إذنان وإدراكه بالشم ، ويجمع على مناجذ من غير لفظه .

(وَلاَ تُنَقِّصْ أَحَداً فَكُلُّنَا
مِنْ رَجُلٍ وَأَصْلُنَا مِنْ عَلَقٍ)

هذا مفرع عما قبله فإنه إذا كان الإنسان لا يأمن من غلبة من هو دونه فلا ينبغى له أن يحتقر أحدا خصوصا والبشر كلهم أبناء رجل واحد ، وهو سيدنا آدم عليه السلام وأصلهم جميعاً علق : أى دم غليظ ؛ وهو المتكون من النطفة . قال تعالى: « خلق الإنسان من علق » .

(لاَ تُلْزِمِ الْمَرْءَ عُيُوبَ أَصْلِهِ
فَالْمِسْكُ أَصْلُهُ دَمٌ فِى الْعُنُقِ)

(وَالْخَمْرُ مَهْمَا طَهُرَتْ فَبَيْنَهَا
وَبَيْنَ أَصْلِهَا بِحُكْمٍ فَرَّقٍ)

أى لا تحمل على المرء عيوب أصله التى لا يدله فيها . فإنه لا ينبغى أن يحمد الإنسان على شرف الأب ولا يذم عليه ، كما لا يمدح الطويل على طوله ولا يذم القبيح على قبحه كما قال

أبو حامد المروزى فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدى كالمسك الذى هو أطيب الطيب أصله دم ينعقد فى سرة غزال المسك فلو ألزمناه نجاسة أصله لم نتطيب به ، وكذ الخمر النجسة تطهر فتصير خلا حلالا ، ولو اعتبرنا نجاستها الأصلية لم نستعمل الخل قط لأنه لا يتخلل حتى يتخمر ، ولذلك تسمى العرب الخل أم الخمر وقول الناظم دم فى العنق ؛غلط ، وإنما هو فى السرة كما علمت :

(وَلاَ تُوَئِّسْ طَامِعًا فِى رُتْبَةٍ
لِنَيْلِهَا نَظِيرُهُ لَمْ يَرْتَقِ)

(فَالزَّرْدُ يَوْمَ الْغَارِ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ
فَضْلٌ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْخَدَرْنَقِ)

(وَقَوْسُ حَاجِبٍ بِرَهْنِهَا لَدَى
كِسْرَى اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ مِمَّا لَقِى)

المراتب: ليست قياس التفاضل عند العقلاء لأنها لا تختص بالاكفاء ، بل قد ينالها من لا فضل له أصلا، فلذلك لا يستغرب

أن يطمع حقير فى رتبة عظيم فأحرى أن يؤيس منها ، والحقيقة أن ذلك راجع إلى ما قدر فى الأزل ، فكل من كتب له شيء لابد أن يدركه ، وبذلك تعرف قدرة الله القاهرة فى رفع الوضيع ووضع الرفيع ، ومن قول المتنبي فى كافور مادحا له مدحا هو السخرية بعينها :

ولله سر فى علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

قال الناظم : فالزرد : أى واعتبر ذلك فى الزرد ، والخدرنق والزرد محركا : الدرع وسكنه ضرورة ، والخدرنق : العنكبوت العظيمة ، وهو يشير إلى قصة أيوائه صلى الله عليه وسلم إلى الغار الذى فى جبل ثور حين خرج مهاجرا إلى المدينة وخرج كفار مكة فى طلبه ، فوقاه الله أذاهم وأمر العنكبوت أن تنسج على باب الغار ، حتى أنهم لما قربوا منه ورأوا نسجها قالوا : أن عليه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ، وكلام الناظم هذا مأخوذ من البيت المشهور :

نسج داود لم يفد صاحب الـ ـغار وكان الفخار للعنكبوت

ثم قال الناظم : وقوس حاجب الخ ، وقوس حاجب هذه هى التى سبق ذكرها عند قوله : ومقلة ترمى بقوس حاجب . الخ ، وهو يشير إلى قصة وفود حاجب بن زرارة التميمى على كسرى ابرويز منتجعا لقومه فى أرض العراق ، فقال له من من يضمن لى أنهم لا يعيثون فى أطراف بلادى ؟ فقال حاجب

أنا ، فقال فمن لى بأن تفى ، قال أرهنك قوسى فجاء بها فضحك من رآها لخستها ، فقال كسرى : ما كان ليسلمها فى شىء أبداً وكان يعرف أنه سيد تميم فقبضها منه ، وأذن لقومه فى دخول الريف. فأنت ترى أن العنكبوت والقوس على حقارتهما ، قد ارتقتا إلى ما لم يرتق إليه ما هو أعلى منهما ، وأغلى من الدروع السابغة والأعلاق النفيسة :

(لاَ تَغْشَ دَارَ الظُّلْمِ وَاعْلَمْ أَنَّها
أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمَارِ خَلَقِ)

لا تغش : أى لا تحل ، والظلم ضد العدل ، وأخرب : أى أكثر خرابا من جوف حمار . وهذا مثل تضربه العرب لخلاء الشىء ، وذلك أن الحمار إذا صيد لم ينتفع بشىء مما فى جوفه بل يرمى به ، فهو خراب بهذا المعنى ، وخلق : بال ، وهو نعت لحمار ، وأمر خراب دار الظلم معلوم . وفى الكتاب العزيز : « وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون » ومن كلام أبى بكر رضى الله عنه : الملك يدوم على الكفر ولا يدوم على الظلم .

(وَلاَ تَبِعْ عِرْضَكَ بِيعَةَ أَبِى
غُبْشَانَ بَيْعَ الْغَبْنِ وَالتَّمَلُّقِ)

(باعَ السِّدَانَةَ قُصَيًّا آخِذَا
عِوَضَها نِحْيًا مِنْ أُمِّ زَنْبَقِ)

العرضْ : موضع المــدح أو الذم من الإنسان ، وغبشان بالضم والفتح ، وبيعة مصدر نوعى وهو مفعول مطلق ، وبيع المصدر الثانى بدل منه ، والغبن : الخسارة ، والتبلصق : المكر والخديعة ، والسدانة : خدمةالكعبة ، وهى من أشرف ولايات العرب الدينية ، وقصى : أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم والنحى:الزق ، وأم زنبق لجعفر من كنىالخمر ، ويقرأ بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وإسقاط الهمزة . والمعنى : لا تعرض نفسك للذم حرصا على الأغــراض الفانية مثل فعل أبى غبشان الخزاعى فى بيعة سدانة الكعبة ، وكانت فى قبيلته من حين غلبت على مكة فساومه عليها قصى بن كلاب وهو سكران فباعها له بزق خمــر ، فصارت فى قريش وضرب المثل بوكس صفقة أبى غبشان . وقال الشاعر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر لبيست صفقة البادى
باعت سدانتها بالنزر وانصرفت عن المقام وظل البيت والنادى

﴿ وَلاَ تَكُنْ كَأَشْعَبَ فَرُبَّما

تَلْحَقُ يَوْماً وَافِدَ المُحَرِّقِ﴾

أشعب : هو الطماع المشهور ، وكان من أهل المدينة ولقى جماعة من التابعين قال : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان « فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغ كل منا المنزلة التى ترى » ونوادره فى الطمع كثيرة : منها إنه رأى إمرأة تعمل طبقا من خوص فقال لها : زيديه طوقا أو طوقين ، فقالت أتريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن عسى الذى يشتريه يهدى إلى فيه شيئاً ، وقيل له ما بلغ من طمعك ؟ فقال : تبعنى الصبيان مرة ، فقلت لهم هذا سالم بن عبد الله فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يعطكم تمرا . فمضوا وأبطأوا . فقلت لعل الأمر كما قلت لهم ، وتبعتهم . وأما وافد المحرق . فهو رجل من البراجم كان عمرو ابن هند غضب على بنى دارم فحلف ليحرقن مائة منهم فطلبهم فاستكمل تسعة وتسعين فأوقد عليهم فمر الرجل المذكور فاشتم رائحة القتار فظنها مأدبة . وكان جائعاً فمال نحو النار وحمل إلى عمرو . فقال له ممن أنت ؟ قال: من البراجم ؟قال: ماجاء بك قال الطعام فقال عمرو : إن الشقى وافد البراجم. فصارت مثلا وقذف

به فى النار ، وسمى ابن هند محرقاً بفعله هذا . وبنو دارم من البراجم .

(وَلاَ تَـكُنْ كَوَاوِ عَمْرٍ زَائِدًا
فِي الْقَوْمِ أَوْ كَـمِثْلِ نُونِ مُلْحَقِ)

أى واربأ بنفسك أن تـكون زائدا فى القوم . أى طرفا فيهم كزيادة الواو فى عمرو للفرق بينه وبين عمر . والنون فى ضيفن مثلا لإلحاقه بوزن جعفر . فإن كلا منهما غريب عن بنية الـكلمة : أتى به لغرض مخصوص لا علاقة لها به فضايقها واستثقلته حتى ضرب المثل بزيادته . وهذا نهى عن التطفل بمعناه العام. فيشمل التطفل على الطعام والتحكك بأنسات الأقوام وإدعاء العلم مع الجهل التام وغير ذلك مما تسوغه الوقاحة للئام .

(لاَ تَرْجُوَنْ صَفْوًا بِغَـيْرِ كَدَرٍ
فَذَا لَعَمْــــرُ اللهِ لَمْ يَتَّفِقِ)

الصفو : الخالص من كل شىء . وذا إشارة . ولعمر الله قسم . ولم يتفق ؛ أى لم يتأت . والمعنى ؛ لا تطمع فى صفاء العيش الذى لا تمازجه كدرة ؛ ولا تصحبه غير ؛ لأن هذا

شيء لم يتهيأ لأحد من الناس ، وقديما أحصى الخليفة الناصر أوقات سروره فلم تجاوز أربعة عشر يوماً ، ولقد قال الشاعر لاطيب للعيش مادامت منغصةً لذاته بادكار الموت والهرم .

(لاَ تَكْتُمِ الْحَقَّ وَقُلْهُ مُعلِناً
فَهُوَ جَمَالُ صَوْتِكَ الصَّهْصَلِقِ)

(وَصِحْ بِهِ شِبْهَ شَبِيبٍ وَأَبى
عُرْوَةَ وَالْعَبَّاسِ عِنْدَ الزَّعقِ)

كتم الشيء ، من باب نصر ، وكتمانا أيضاً : ستره، والصهصلق: بياء بعد اللام وبدونها من الأصوات : الشديد ، والزعق محركا الخوف ، وشبيب هو ابن يزيد الشيبانى الخارجى كان شجاعاً صارما ، وخرج على عبد الملك بن مروان ، فمازال أمره يعلو حتى بايعه الخوارج ، ومن شدة صوته أنه كان إذا صاح فى جنبات جيش انهزم : لايلوى حميم على حميم وفيه البيت المشهور الذى نجا قائله من موت محقق بتصرفه فى الإعراب ، وهو :

فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

وهو لأبى المنهال منهم ، ولما حمل إلى عبد الملك قال له : أرأيت قولك : ومنا أمير المؤمنين شبيب . فقال : لم أقل كذلك

وإنما قلت أمير : أى بالنصب على النداء فصرف الكلام من الخبر إلى الإنشاء ، وأزال الإعراب من الرفع إلى النصب فعفا عنه لذلك . وأما أبو عروة فهو رجل من العرب يضرب به المثل فى جهارة الصوت ، ويقال له أبو عروة السباع لأنه كان يصيح بالأسد وقد احتمل الشاة فيخليها . وأما العباس فهو ابن عبد المطلب ، عم النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى عن العباس عمه وكان صيتا ، ولذلك أمره النبى صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حنين بالنداء فجعل ينادى يا أصحاب السمرة يعنى شجرة الرضوان ، يا أصحاب سورة البقرة ، فسمع الناس نداءه وأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها :

(لاَ تَأْمَنِ الدَّهْرَ فَإِنَّ خَطْبَهُ

أَرْشَقُ نَبْلاً مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ)

المرد بالدهر : حدثانه وصروفه ، والخطب : الشأن والأمر وغلب استعماله فى المكروه والشدة ، وأرشق : أفعل تفضيل من رشقه بالنبل من باب نصر إذا رماه به ، والنبل : السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها وقد جمعوها على نبال وأنبال ، ورماة الحدق : هم قوم من العرب اشتهروا بجودة الرمى يضرب بهم المثل ، وقد وقع الخلاف فى تعيينهم

(لاتنس من دنياك حظاً والى

كالطلقاني والخصيب انطلق)

هذا كقوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ولما كان الغنى عند الشعراء قديماً لا ينال إلا من طريق مدح الكبراء والتعرض لجوائزهم قال : وإلى كالطالقانى الخ . والطالقانى : هو الصاحب بن عباد وزير بنى بويه وكان من دهاقين السياسة وأساطين الأدب واجتمع له من أسباب الفضل ما لم يجتمع لغير وقصده الأدباء ومدحه الشعراء وكان جواداً مفضالا وأما الخصيب فهو ممدوح أبي نواس وعامل الرشيد فى مصر وكان من الأجواد المعدودين ، وقد مدحه أبو نواس بأمداح بليغة حسده الخليفة عليه . منها :

ذرينى أكثر حاسديك برحلة ... إلى بلد فيها الخصيب أمير

ومنها :

أنت الخصيب وهذه مصر ... فتدفقا فكلاكما بحر

ومقصود الناظم عدم بذل الوجه إلا لمن كان كامل الصفات ظاهر المروءات ولذا عقب على ذلك بقوله :

(وَاعْضُلْ كَهمَّامٍ بَنَاتِ فِكْرَةٍ
صَنًّا بِها عَنْ غَيْرِ فَحْلٍ مُعْرِقِ)
(كَيْ لاَ تقُولَ بِلِسَانِ حَالِها
مَقَالَ هِنْدٍ أَلْقِ مَنْ لَمْ يَلْقِ)

(وَسَلْ مُهُورَ كِنْدَةٍ إنْ تُهْدِهَا

لِذِى نَدَى كَالْبَحْرِ فِى تَدَفُّقِ)

العضل: المنع مطلقا، أو منع الأيم من التزويج. قال تعالى: «ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن» واستعاره هنا لمنع بنات الفكرة من غير الكفء، وبنات الفكرة مايصدر عنها من قصائد المدح ومقامات الثناء، ضنا: أى بخلا، والفحل: الذكر من كل حيوان، والمعرق كالعريق الذى له أصل فى الكرم أو اللؤم، والمراد هنا الأول، والق من لم يلق: أى ارم من لم يصلح، والمهور: جمع مهر، وهو الصداق، والندى: العطاء والتدفق: التصبب، وهمام الذى مثل الناظم به: هو ابن مرة بن ذهل الشيبانى أخو جساس المقدم الذكر، وكان له ثلاث بنات فأبى أن يزوجهن حتى عنسن فسمعهن مرة يتمنين، فقاعدا

تمنيهن الزواج، وصفات الأزواج الذين يردن، وسمع صغراهن تقول: زوج من عود، خير من قعود، فقال: أخزاهن الله ثم زوجهن، وهند التى فى كلامه: هى بنت النعمان بن بشير الأنصارى وأراد ما قالته فى الحجاج وكان تزوجها:

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بَغْلُ

فإن أنجبت مهرا كريما فبالحرا ... وإن يك إقراف فما أنجب الفحل

وكندة: قبيلة من اليمن وكانت لا تزوج بناتها بأقل من مائة من الأبل : وربما مهرت الواحدة منهن ألفا فضرب المثل بغلاء مهورهن ، وفى قول الناظم : واعضل أخ استعارة مرشحة بذكر الفحل :

(لاَ تَهْجُ مَنْ لَمْ يُعْطِ وَاهْجُ مَنْ أَتَى
إلَى السَّرَابِ بالدِّلاَءِ يَسْتَقِى)

الهجو : ضد المدح ، والسراب : ما يتراءى للعين من اشتداد الحر كأنه ماء وليس به ، والدلاء جمع دلو : وهو آلة السقى : أى أنك إذا قصدت ببنات أفكارك غير أهل لها فمنعك ماتريده منه فلا تهجه على فعله هذا : بل أهج نفسك لأنها أحق بذلك منه حيث عرفت بخله ورجوت نيله ، وكنى بالسراب عن الرجل البخيل .

(وَعُدْ لِما عُوِّدْتَ مِنْ بَذْلِ اللُّها
فالْعَوْدُ أَحْمَدُ لِكُلِّ مُمْلِقِ)

البذل : العطاء . واللُّها : جمع لُهوة بضم اللام فيهما ، العطية : دراهم كانت أو غيرها . وبالفتح جمع لهاة . وهى اللحمة التى فى

سقف الحلق ، ويقال فى المثل : إن اللها تفتح اللها . والعود أحمد ؛ أى أكثر حمداً . لأن الابتداء إذا كان محموداً كان العود أحق أن يحمد . وهو مثل . ولكل مملق ؛ أى فقير . وفى القرآن: « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » وهذا البيت فى الذى يطلب حاجة من جواد فلا ينيله إياها فلا ينبغى أن يعرض عنه وفى جوده مبرر للعود إليه فربما ينال منه ما هو أعظم منهـــا . ومـا أحسن قول أبى وجزة السعدى للمهلب بن أبى صفرة وقصده فى حاجة ، فقال له المهلب : هل أتيتنا بوسيلة ؟ قال : لا ، ولكنى رأيتك لحاجتى أهلا ، فإن قمت بها فأهل ذلك وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك ، ولم أيأس من غدك .

(وَلاَ تَمُدْ لِجِرْبٍ من مَنَّ وَلَوْ
مَنَّ فَمَا غَلَّ يداً كمُطْلِقِ)

(وَالعَوْدُ يُخْتَارُ عَلَى مَنْ كانَ كالْـ
مُخْتَارِ أو مَنْ كانَ ذَا تَزَنْدُقِ)

من الأولى بمعنى أنعم ، والثانية بمعنى عدد عليه ما فعله به من الخير ، وهو المن المحبط للصنيعة . قال الله تعالى : « لاتبطلوا

صدقاتكم بالمن والأذى ، وغل بمعنى قيد : أى لم يقيد اليد حقيقية ، مثل من أطلقها ، فالكاف اسم بمعنى مثل هو الفاعل ، والبيت يشير إلى قضية عمران بن حطان السدوسى من رءوس الخوارج مع الحجاج . وكان حمل إليه فلما رآه قال : ياغلام أضرب عنق ابن الفاعلة فقال عمران : بئس ما أدبك به أهلك ياحجاج ، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما جبهتنى به أو أفحش ، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها ، فأطرق الحجاج استحياء مما فرط منه ، وقال : خلوا عنه ، ثم قال : أفيك موضع للصنيعة ؟ قال : أجل فأمر له بفرس وسرج وسيف وخلى سبيله ، فلما عاد أصحابه من الخوارج ، وقالوا له : والله يا أبا سماك ما أطلقك إلا الله ، فعد بنا إلى حرب الفاسق ، فقال هيهات ، غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، فهذا معنى قوله : ولاتعد الخ ؛ ولكن هذا فيمن لم يكن مثل الحجاج فتركه من هوس الخوارج ، وإلا فليس هو أقل استحقاقاً للقتال ممن ذكره فى قوله والعود ؛ أى للحرب يختار على من كان كالمختار ، وهو ابن أبى عبيد الثقفى ، أو من كان ذا تزندق ؛ أى ملحدا فى الدين وهو عام ، وكان المختار قد خرج فى أيام عبدالله ابن الزبير ، فتغلب على العراق واختلف أمره بين الخروج والطلب بدم آل البيت ، لكنه والحق يقال تتبع قتلة الحسين حتى أفناهم ، وكان البارقى الشاعر فيمن قاتل المختار من أهل الكوفة ، فحمل إليه فعفا عنه ثم خرج عليه مع ابن الأشعث فحمل إليه فقال له : ألم أعف عنك وأمن

عليك، أما والله لأقتلنك ، قال لاتفعل إن شاء الله لأن أبى حدثنى أنك تفتح دمشق وأنا معك ، فخلاه فرجع إلى ابن الأشعث ثم أسره رجل من أصحاب المختار ، فحمله إليه ، فقال ؛ أسرك هذا ؟ فقال كذب والله ما أسرنى إلا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق ، فقال ؛ ألاأن الرجل قد عاين الملائكة فدعوه فإلى هذا يشير الناظم بقوله ؛ والعود يختار الخ ، وفى قوله : من ولو من جناس تام ، وفى قوله ؛ يختار ، والمختار جناس الاشتقاق ؛

(وَالصَّمتُ حِصنٌ لِلْفَتى مِنَ الرَّدَى
وَقَــلِّ مَنْ شَرَّ لِسانِهِ وُقِى

(وَإِنْ وَجَدتَ لِلْــكَلاَمِ مَوْضِعاً
فَــكُنْ عَرَاراً فِيهِ أَوْ كالأَشْدَقِ)

الصمت بالفتح والضم ، والأفصح الفتــــح ! السكوت ، والحصن : المكان المحمى المنيع ، والردى : الهلاك ، وقل ماض ، ضد كثر ، ومن فاعله ، وشر مفعول مقدم بوقى ، وعرار هو ابن سيدنا عمرو بن شاش الصحابي ، وكان أسود من أمة سوداء، ولــكن بين الكلام فصيح المنطق ، وأرسله الحجاج برأس ابن

ألأشعث إلى عبد الملك بن مروان ومعه كتاب بالفتح فجعل عبد الملك يقرأ وكلما شك فى شيء سأل عنه عرارا فيخبره فى أصح لفظ، وأبلغ قول فشفى نفسه من الخبر، وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتحمته عيناه لما رأى من سواده، فقال متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد   لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم
وإن عرارا إن يكن واضح   فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار. أتعرفنى ياأمير المؤمنين؟ قال لا. قال فأنا والله عرار : فزاد فى سروره وأضعف له الجائزة. أما الاشدق فهو عمرو بن سعيد بن العاص كان من فصحاء قريش، وأهل الخطابة فيهم، ولما مات والده دخل على معاوية فقال له : لمن أوصى بك أبوك؟ قال : انه أوصانى ولم يوص بى، قال فبأى شيء أوصاك؟ قال ألا يفقد أصحابه منه غير شخصه؟ فقال معاوية : ان عمرا هذا لأشدق، فسمى بذلك.

(لاَ تَنْسَ مَاأَوصَى بِهِ الْبَكرِى أخاً
فَهُوَ سَدَادٌ فَبِهِ الشَّرَّ اتَّقِ)

السداد : الصواب، والشر مفعول مقدم باتق. ومعنى اتق أدفع، والبكرى المذكور هو موسى بن جابر الحنفى، ونسب حنيفة فى بكر بن وائل، وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيدا، فتحير الحجاج فى

امره ، فصاح صائحه : من يعرف ما اوصى به البكرى اخاه قضيت حاجته فقام اعرابى فقال أنا اعرفها ، فأنشده :

قلت لزيد لاتترتر فإنهم يرون المنايا دون قتلك او قتلى
فإن وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا فعرضة عض الحرب مثلك او مثلى
وإن رفعوا الحرب العوان التى ترى
فشب وقود الحرب بالحطب الجزل

(وَلَكَ فِيمَنْ كانَ مِثْلَ الأمَوِىِّ
أُسوَةٌ بِهِ اقتَدَى كُلُّ تَقِى)
(هذا هُوَ المَجدُ الأصِيلُ فَاتَبِعْ
سَبِيلَهُ عَلَى الْجَمِيعِ تَرْتَقِى)

الأسوة : القدوة ، واقتدى : اتبع . قال جل اسمه : «فبهداهم اقتده» ويشير إلى قصة الامين والمأمون لما أرادالرشيد أن يختبرهما مرة فأحضرهما واغرى بينهما ، فبادر الأمين إلى المأمون ، فلم المأمون عنه ثم أمرهما ان يتصارعا فوثب الامين وسكن المأمون فقال له الرشيد . مالك لا تقدم اخفت ابن الهاشمية ؟ قال لم أخفه وإنما منعنى قول الأموى لبنيه :

انفوا الضغائن بينكم وتواصلوا عند الأباعد والحضور الشهد

(فَالْعِلْمُ فِي الدُّنيا وَفِي الأخرَى لَهُ
فَضْلٌ فَبَشِّرْ حِزْبَهُ شَرًّا وُقِي)

فضل العلم فى الدنيا والآخرة مما لا ينكره أحد ، وقد قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وفى الحديث ؛ (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة)وقوله فبشر حزبه . أى أهله وأصحابه ، وحذف متعلق بشر لقصد التعميم ،وجملة شراً وقى : خبر معناه الإنشاء إذا أريد به الدعاء ، أو خبر حقيقى إذا أريد به الوصف .

(واعْنَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ فَالشِّعْرُ كَمَا
لٌ لِلْفَتى إنْ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ)
(والشِّعْرُ لِلْمَجْدِ نِجَادُ سَيْفِهِ
وَلِلْعُلاَ كالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ)

اعن أمر من عنيت بالأمر : إذا اهتممت به ، والأكثر عنى بالبناء للمفعول ، وبقول الشعر : أى بنظمه وقرضه ، فالشعر كمال للفتى : أىزيادة فضل له إن به لم يرتزق : أى يطلب الرزق به بقصد

الكبراء وذوى الجاه به، وكذلك كان الشعراء في أول الأمر يأنفون بشعرهم أن يبتذل هذا الابتذال ، فكانوا أعزة أشرافاً ، ثم ظهر المتكسبون بالشعر كالأعشى والنابغة، فغض ذلك من شأن الشعراء ولصقت بهم معرته . قوله نجاد سيفه : أى حمائله ، والعقد : القلادة من جوهر وغيره مما يجعل فى العنق وهذا من قول المعرى:

أرى المجد سيفا والقريض نجاده ولولا نجاد السيف لم يتقلد

كما أن البيت الأول من قول ابن الوردى:

إنظم الشعر ولازم مذهبي فى إطراح الرفد فالدنيا أقل
فهو عنوان على الفضـــل وما أحسن الشعر إذا لم يبتذل

(فَقُلْهُ غَيْرَ مُكْثِرٍ مِنْهُ وَلاَ
تَعْبَأْ بِقَوْلِ جاهِلٍ أَوْأَحْمَقِ)

(مَاَ عَابَهُ إلاَّ عَيِيٌّ مُفْحَمٌ
لِعَرْفِهِ الذَّكِيِّ لَمْ يَسْتَنْشِقِ)

إنما قال غير مكثر منه ، لأن الإفراط فى كل شيء مذموم ، وفى الشعر بالخصوص ، فإنه ربما أدى إلى تقبيح الحسن وتحسين القبيح ، والوقوع فى أعراض الناس ، وهذا هو المراد بحديث

« لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلىء شعرا ». وقوله : ولا تعبأ بقول جاهل : أى لاتبال به . قوله ما عابه إلا عيى . العيى : غير الفصيح ، وفعله عيي يعيي كرضي يرضى ، ويقال فيه أيضاً عى فهو عى ، والمفحم بالفاء : الذى يعجز عن قول الشعر ، والذى يغلب فى الخصومة ولعرفه متعلق بيستنشق ، والعرف . الرائحة . والذكى : الطيب ولم يستنشق : أى لم يشم ، والمراد أنه لا يعيبه مطلقاً إلا من يعجز عنه على حد ذم الثعلب للعنب إذا لم يقدر أن يصل إليه .

(كَمْ حاجَةٍ يَسَّرْتَهَا وَكَمْ قَضَى
بِفَكٍّ عانٍ وَأَسِيرٍ مُوثَقِ)

(وَكَمْ أَدِيبٍ عادَ كَالنُّطْفِ غِنًى
وَكانَ أَفْقَرَ مِنَ الْمُذَلَّقِ)

كم للتكثير ، وقضى : حكم بفك عان : أى أسير ، تقول منه : عنا فلان فيهم أسيراً من باب سما : أى أقام على إساره وعنا أيضاً : خضع وذل ، ومنه — وعنت الوجوه للحى القيوم — والأسير : الأخيذ وإن لم يشد والموثق المشدود ، من أوثقه فى الوثاق : شده . قال تعالى : « فشدوا الوثاق » قوله وكم أديب

عاد كالنطف : أى بسبب قول الشعر ، والنطف بوزن كتف وسكنه للضرورة : رجل من بنى يربوع كان سقاء فقيراً ، ثم أغار فى قومه على قافلة أرسلها بازان من اليمن إلى كسرى فأصاب مالا كثيراً ، فضرب به المثل فى الغنى والمذلق بوزن معظم : رجل فقير جداً لم يكن يجد قوت ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس فيقال أفلس من المذلق ومن أبى المذلق :

(وَكَمْ حَدِيثٍ جَاءَنَا بِفَضْلِهِ
عنْ سَيِّدٍ عَنِ الْهَوَى لَمْ يَنْطِقِ)
(وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ وَكَانَ مِنْ
أَصْحَابِهِ يَسْمَعُهُ فِى الْحَلَقِ)
(وَقَدْ أَتى الْمِنْبَرُ لِابْنِ ثَابِتٍ
فَكَانَ لِلإِنْشَادِ فِيهِ يَرْتَقِى)

من الأحاديث التى جاءت فى مدح الشعر قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من الشعر لحكمة) . رواه البخارى : وعن ابن

عباس رضى الله عنهما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما) رواه أبو داود ومن تمثله صلى الله عليه وسلم بالشعر قوله كما فى الصحيح أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

وأما سماعه صلى الله عليه وسلم له من أصحابه فكثير ، فعن عمرو بن الشريد عن أبيه ردفته صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه، فأنشدته بيتاً ، فقال هيه ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال هيه ، ثم أنشدته مائة بيت ، فقال : إن كاد ليسلم ، وأنشده عباس بن مرداس أبياتاً فأعطاه مائة من الإبل كما فى مسلم وناهيك بقوله لحسان « اللهم أيده بروح القدس كما فى الصحيح أيضاً . وقد وضع له منبرا فى المسجد فكان يقوم عليه منافحا عن رسول الله بشعره مجيبا لشعراء الوفود كما هو معروف . قوله عن الهوى لم ينطق : هو اقتباس من الآية . والمراد هوى النفس ، والحلق جمع حلقة : وهى دائرة من القوم المجتمعين للمذاكرة والسمر وابن ثابت : هو حسان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم :

(وَقَالَ لاِبنِ أَهتَمٍ فِي مَدحِهِ
وَذَمِّهِ لِلزِّبرِقَانِ الأَسمَقِ)
(مقَالَةً خَتَمَهَا بِقَولِهِ
إِنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكمَةً تَقِي)

ضمير قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، وابن أهتم هو : عمرو ابن الأهتم أحد سادات بنى تميم فى الجاهلية والإسلام وفى مدحه وذمه يتنازعان قوله للزبرقان ، وضميرهما عائد لابن أهتم ، والزبرقان هو ابن بدر التميمى أيضاً وكان سيداً من ساداتهم ، والأسمق : الأعلى ، من سمق سموقا ؛ إذا علا والمراد هنا : العلو المعنوى ، ويشير بهذا إلى ما رواه غير واحد من أن الزبرقان فخر بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أناسيد بنى تميم والمطاع فيهم ، والمجيب لديهم ، أمنعهم من الظلم ، وآخذ لهم حقوقهم ، وهذا يعلم ، يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو : إنه لشديد العارضة مانع لجانبه ، مطاع فى أدنيه فقال الزبرقان : أما إنه يعلم أكثر من هذا ، ولكن منعه الحسد فقال عمرو : أنا أحسدك ، فوالله إنك للئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الولد ، مضيع فى العشيرة والله يارسول الله لقد صدقت فى الأولى ، وما كذبت فى الثانية أنى إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح

ما وجدت ، فقال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان اسحرا) وأنت ترى أن الخبر فيه (أن من البيان لسحراً ، لا أن من الشعر لحكمة) ومفاخرة الرجلين كانت نثراً ، فالمجال كله ليس للشعر ، فقد اشتبهت القصة على الناظم وإلا ففى غيرها قال :(إن من الشعر لحكمة) :

وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قُتَيْلَةٍ
رَثْىَ قَتِيلِهَا الَّذِى لَمْ يُعْتَقِ)
(رَدَّ لَهَا سَلَبَهُ وَقَدْ بَكَى
شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ)

قتيلة هذه : هى بنت النضر بن الحرث أو أخته ، وكان من كفار قريش ، شديد العداوة لرسول الله عليه وسلم والأذاية له ولأصحابه ، فلما كانت غزوة بدر أسر ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل ، فبلغ ذلك قتيلة فرثته بأبيات منها :

أمحمد ياخير ضنء كريمة   فى قومها والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنق

فلما سمعها النبى صلى الله عليه وسلم رق لها حتى دمعت عيناه

وقال . لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه , والرثى مصدر رثى الميت من باب رمى ، ومرثية ورثاء : إذا بكاه ، وعدد محاسنه شعراً أو نثراً ، والسلب ما على المقاتل من سلاح وغيره مما يسلب :

وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةَ مَدْحِهِ

بِبُرْدَةٍ وَمِائَةٍ مِنْ أَيْنُقِ)

حباه يحبوه حبوة : أعطاه والحبـــاء العطاء ، وكعب هو ابن زهير : أحد شعرائه صلى الله عليه وسلم ، وغداة ظرف لحبا ؛ ومدح كعب للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ ورضى عن كعب : كان بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة . وقد أجازه عليها كما قال الناظم ببردته ومائة من الإبل وعفا عنه بعد ما كان أهدر دمه ؛ وقد بقيت البردة عنده ، وساومه عليها معاوية بعشرة آلاف درهم فأبى ، ثم اشتراها من ورثته بعشرين وبقيت عند الخلفاء إلى أن فقدت فى فتنة التتار :

(وَبَشَّرَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ

بِجَنَّةٍ جَزَاءَ شِعْرٍ عَنْسُقِ)

يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدى لما أنشده قصيدته الرائية التى مدحه بها ؛ فبلغ هذا البيت :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال إلى الجنة يارسول الله ، فقال نعم إن شاء الله ، وإلى قوله لحسان بن ثابت لما أنشده همزيته التى أجاب فيها أبا سفيان بن الحرث ، فبلغ هذا البيت .

هجوت محمداً وأجبت عنه

وعند الله فى ذاك الجزاء

« جزاؤك الجنة يا حسان » وعنسق فى النظم كقنفد ، معناه : حسن .

(كَمْ خَامِلٍ سَمَا بِهِ إِلَى الْعُلاَ

بَيْتُ مَدِيحٍ مِنْ بَلِيغٍ ذَلِقِ)

(مِثْلُ بَنِي الأَنْفِ وَمِثْلُ هَرَمٍ

وَكَالذِي يُعْرَفُ بِالْمُحَلِّقِ)

الخامل : ضد النابه ، وقد خمل من باب دخل ، وسما مثل

علا وزنا ومعنى ، والعلا : الرفعة والشرف . والذلق : الفصيح ويقال الذليق أيضاً بالياء ، وبنو الأنف هم بنو جعفر بن قريع من بنى تميم كانوا يدعون بنى أنف الناقة فيأنفون من ذلك وكان الرجل منهم ينتسب إلى جده قريع ، ويتجاوز النسبة إلى جعفر فرارا من ذلك اللقب ، إلى أن مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصار اللقب فخراً لهم ، وصاروا إذا ذكروه يمدونه تطاولا به . أما هرم فهو ابن سنان المرى أحد ساداتهم ، وكان أخوه خارجة أسود منه لكنه بمدح زهير له غطى على أخيه وكان جوادا أريحيا . وكثر مدح زهير له فحلف أنه لايمدحه ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرسا فاستحيا زهير ، فكان إذا رآه فى ملأ قال: عموا صباحا غير هرم،وخيركم استثنيت ومما قاله فيه :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم

والسائلون إلى أبوابه طرقا

إن تلق يوما على علاته هرما

تلق السماحة منه والندى خلقا

وأما المحلق : فهو رجل من بنى كلاب ، وكان مقلا خاملا

وله بنات قد عنسن ، فمر بهم الأعشى ذاهباً إلى عكاظ ،فتعرض له المحلق وأنزله ، ونحر له ناقته وسقاه خمراً اقترضها من أحد التجار ثم غدا على عكاظ فأنشد قصيدة مدح بها المحلق ، وفيها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار فى يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

فاشتهر المحلق وشرف ، وبادر الأشراف يخطبون بناته ويرغبون فى قربه فما مرت عليهن سنة حتى كانت كل واحدة فى عصمة رجل أشرف من أبيها بكثير :

(وَكَمْ وَكَمْ حَطَّ الْهِجَا منْ مَاجِدٍ
ذِى رُتْبَةٍ قَعْسَا وَقَدْرٍ سَمِقِ)

(مِثْلَ الرَّبِيعِ وَبَنِى الْعَجْلَانِ مَعْ
بَنِي نُمَيْرٍ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ)

كم الثانية توكيد للأولى ، وحط . أى وضع ، والهجاء :

ضد المدح وقصره ضرورة ، ومن ماجد تمييزكم . وقعساء : ثابتة وقصر ضرورة ؛ وسمق عال ؛ والربيع : هو ابن زياد العبسى ، نديم النعمان بن المنذر . وكان منه بمكانة . فوفد على النعمان عامر بن مالك ملاعب الأسنة وإخوته . فغض الربيع منهم . وطعن للنعمان فيهم . فخرجوا من عنده مغضبين . وكان لبيد صبياً صغيراً يؤمئذ وهو معهم . فرآهم على تلك الحال . فسألهم فأخبروه فقال : أنا أكفيكموه فغدوا على النعمان فأذن لهم فدخلوا . فأنشده والربيع معه على المائدة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

إن أسته من برص ملمعه

فى أبيات مقذعة ، فأنف النعمان من مواكلته وأقصاه عن مجلسه . وبنو العجلان : هم من بنى عامر بن صعصعة ، ولقب أبوهم بالعجلان لتعجيله القرى للضيوف فهو لقب مدح ، ثم لما هجاهم النجاشى الشاعر بقوله :

وما سمى العجلان إلا لقولهم

خذ القعب وأحلب أيها العبد وأعجل

صار ذما ، وانقلب معناه . وأما بنو نمير فهم من عامر بن صعصعة أيضاً وهم إحدى جمرات العرب الذين لم يحالفوا أحدا لعزتهم ومنعتهم ، وكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال نميرى وفخمها ، وأمال عنقه فخراً ، حتى هجاهم جرير بقوله :

فغض الطرفَ إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فصارا وينتسبون إلى عامر الجد الأعلى ، وقوله جمرات الحرق إنما يرجع لبنى نمير ، وأضافها للحرق للمناسبة . وجمرات العرب ثلاث : بنو نمير ، وبنو ضبة ، وبنو الحرث بن كعب .

(لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى
فَضْلٌ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ)

يشير إلى القصائد السبع المعروفة بالمعلقات ، وما قيل فى سبب تسميتها بذلك من أنها كانت مكتوبة فى القباطى بماء الذهب ، ومعلقة على الكعبة ، وذلك لنفاستها عندهم :

(لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ
مَا فُسِّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الأَزْرَقِ)

ابن الأزرق : هو نافع الحنفى ، رئيس فرقة الخوارج المعروفة بالأزارقة ، ومسائله هى كلمات من القرآن ، سأل ابن عباس عن معناها ففسرها له جميعاً ، وكان فى كل كلمة يسأله هل تعرف العرب هذا ؟ فينشد على ذلك بيتا من الشعر وقد ذكرها المبرد وغيره فلا نطيل بها :

(مَا هوَ إلاّ كَالْـكِتاَبَةِ وَماَ

فَضْلهُماَ إلاَّ كَشَمْسِ الأفُقِ)

(وَإنَّمـــاَ نُزِّهَ عَنْهُماَ النَّبِى

لِيُدْرَكَ الإعْجَازُ بِالتَّحَقُّقِ)

يعنى أن الشعر هو كالكتابة فى الفضل، وفضلهما لا يخفى كما لا تخفى شمس الإفق: أى السماء، وإنما نزه عنهما النبى صلى الله عليه وسلم أى عن الشعر فى قوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغى له»، وعن الكتابة فى قوله عز وجل: «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك» ليدرك الأعجاز بالتحقق: أى ليدرك كل إنسان على وجه التحقيق المعجزة فى إتيانه صلى الله عليه وسلم بذلك الكتاب الكريم الذى هو فى أعلى درجات البلاغة مع كونه أميا لا يشعر ولا يكتب. وقد أشارت الآية الثانية إلى علة ذلك فى آخرها. وهو قوله عز من قائل: «إذا لارتاب المبطلون».

(فَهِمْ بِهِ فانَّهُ لاَ شَكَّ عُنْـ

وَانُ الحِجاَ وَالفَضْلِ وَالتَّحَذْلُق)

(وَهُوَ إِكْسِيرٌ وَتَدْبِيرٌ لِمَنْ

دَامَ اصْطِيَادَ وَرِقٍ بِوَرَق)

(مِنْ غَيرِ تَقْطِيرٍ وَتَصْعِيدٍ وَتَكْـ

لِيسٍ وَتَرْطِيبٍ وَقَتْلِ زِئْبِقٍ)

هم أمر ، من هام بالشيء يهيم هياما وهيمانا : أحبه ، والحجا: العقل ، ، والتحذلق : إظهار الحذق ، والأكسير : حجر الحكماء الذى يحول الفضة ونحوها ذهبا خالصا ، والتدبير عند أهل هذه الصناعة: عملية التحويل المذكور ، فالناظم يقول: أن الشعر يوصل إلى سر هذه الصناعة ، فهو يقوم مقامها لمن رام : أى قصد ، أصطياد : أى أخذ ورق بكسر الراء أى فضة، بورق أى بقرطاس ولم يقصد إلى التجنيس بين الورق والورق عبثا بل لتتمه التشبيه . قوله من غير تقطير اخ : هذه الألفاظ مما يستعمله أرباب الصناعة وكل واحد منها يطلق على عمل مخصوص لا يتم تحضير المعدن الكريم إلا به والزئبق معلوم ، والمراد بقتله: صهره بالنار حتى يجمد، ولا يجمد إلا فى درجة عالية من الحرارة :

(وَإِنْ تَكُنْ مِنْهُ عَقِيمِ فِكْرَةٍ

فَاْغنَ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفترِقِ)

(وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً كالأصمَعِي

وَالْجَهلُ أوْلَى بِالَّذِي لَمْ يصْدُقِ)

العقيم : الذى لا يولد له ، وعقم الفكرة مجاز عن عدم إنتاجها، وهذا كالإستثناء مما قبله ، فإن الإنسان إذا لم تفض سجيته بقول الشعر لا ينبغى له معاناته ، فإن أثر التكلف لا بد ظاهر عليه . ومعنى قوله : فاعن بجمع شمله أروه واحفظه فالمراد أنك لا تخلى نفسك منه إن قولا أو رواية ولذلك قال: وكن له راوية ، والراوية عند العرب : الذى يتبع الشاعر فيروى عنه ما يقوله من الشعر ، وكان لكل شاعر راوية ، والأصمعى هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، أحد أعلام الرواة والأخباريين الثقات ، وشهرته تغنى عن ذكره ، والناظم يرشد من تعذر عليه قول الشعر ، وكان قلبه معلقا بما يناله الشعراء من الحظوة عند الأمراء إلى طريق الرواية فإنها أخت الشعر ، وقديما قالوا : الراوية أحد الهاجيين لكنه لا يرضى للراوية أن يكون غير ثقة ، فلذلك ذكر الأصمعى وترك غيره من الرواة وزاد فقال : والجهل أولى بالذى لم يصدق . وقد كان الأصمعى رحمه الله على جانب عظيم من التثبت والتحرى فى كل ما يقول وينقل ، ولذلك حظى عند الخلفاء ونال من صلاتهم مالم ينله غيره :

(فَالْعِلْمُ فِي الدُّنيا وَفِي الأخرَى لَهُ

فَضْلٌ فَبَشِّرْ حِزْبَهُ شَرًّا وُقِي)

فضل العلم فى الدنيا والآخرة مما لا ينكره أحد ، وقد قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وفى الحديث ؛ (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) وقوله فبشر حزبة . أى أهله وأصحابه ، وحذف متعلق بشر لقصد التعميم ، وجملة شراً وقى : خبر معناه الإنشاء إذا أريد به الدعاء ، أو خبر حقيقى إذا أريد به الوصف .

(واعْنَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ فَالشِّعْرُ كَمَا

لٌ لِلْفَتى إنْ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ)

(والشِّعْرُ لِلْمَجْدِ نِجَادُ سَيْفِهِ

وَلِلْعُلاَ كَالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ)

اعن أمر من عنيت بالأمر : إذا اهتممت به ، والأكثر عنى بالبناء للمفعول ، وبقول الشعر : أى بنظمه وقرضه ، فالشعر كمال للفتى : أى زيادة فضله إن به لم يرتزق : أى يطلب الرزق به بقصد

(م ٨ — الشمقمقية)

الكبراء وذوى الجاه به، وكذلك كان الشعراء فى أول الأمر يأنفون بشعرهم أن يبتذل هذا الابتذال، فكانوا أعزة أشرافاً، ثم ظهر المتكسبون بالشعر كالأعشى والنابغة، فغض ذلك من شأن الشعراء ولصقت بهم معرته. قوله نجاد سيفه: أى حمائله، والعقد: القلادة من جوهر وغيره مما يجعل فى العنق وهذا من قول المعرى:

أرى المجد سيفا والقريض نجاده ولولا نجاد السيف لم يتقلد

كما أن البيت الأول من قول ابن الوردى:

إنظم الشعر ولازم مذهبي فى إطراح الرفد فالدنيا أقل
فهو عنوان على الفضـــل وما أحسن الشعر إذا لم يبتذل

(فَقُلْهُ غَيْرَ مُكْثِرٍ مِنْهُ وَلاَ
تَعْبَأْ بِقَوْلِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقِ)
(مَا عَابَهُ إلاَّ عَيِيٌّ مُفْحَمٌ
لِعَرْفِهِ الذَّكِيِّ لَمْ يَسْتَنْشِقِ)

إنما قال غير مكثر منه، لأن الإفراط فى كل شىء مذموم، وفى الشعر بالخصوص، فإنه ربما أدى إلى تقبيح الحسن وتحسين القبيح، والوقوع فى أعراض الناس، وهذا هو المراد بحديث

« لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلىء شعرا ». وقوله : ولا تعبأ بقول جاهل : أى لاتبال به . قوله ما عابه إلا عيى . العيى : غير الفصيح ، وفعله عي يعي كرضى يرضى ، ويقال فيه أيضاً عى فهو عى ، والمفحم بالفاء : الذى يعجز عن قول الشعر ، والذى يغلب فى الخصومة ولعرفه متعلق بيستنشق ، والعرف . الرائحة . والذكى : الطيب ولم يستنشق : أى لم يشم ، والمراد أنه لا يعيبه مطلقاً إلا من يعجز عنه على حد ذم الثعلب للعنب إذا لم يقدر أن يصل إليه .

(كَمْ حاجَةٍ يَسَّرَهَا وَكَمْ قَضَى
بِفَكٍّ عَانٍ وَأَسِيرٍ مُوثَقِ)

(وَكَمْ أَدِيبٍ عَادَ كَالنَّطْفِ غِنًى
وَكَانَ أَفْقَرَ مِنَ الْمُذَلَّقِ)

كم للتكثير ، وقضى : حكم بفك عان : أى أسير ، تقول منه : عنا فلان فيهم أسيراً من باب سما : أى أقام على إساره وعنا أيضاً : خضع وذل ، ومنه — وعنت الوجوه للحى القيوم — والأسير : الأخيذ وإن لم يشد والموثق المشدود ، من أوثقه فى الوثاق : شده . قال تعالى : « فشدوا الوثاق » قوله وكم أديب

عاد كالنطف : أى بسبب قول الشعر ، والنطف بوزن كتف وسكنه للضرورة : رجل من بنى يربوع كان سقاء فقيراً ، ثم أغار فى قومه على قافلة أرسلها بازان من اليمن إلى كسرى فأصاب مالا كثيراً ، فضرب به المثل فى الغنى والمذاق بوزن معظم : رجل فقير جداً لم يكن يجد قوت ليلة وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس فيقال أفلس من المذلق ومن أبى المذلق :

(وَكَمْ حَدِيثٍ جَاءَنَا بِفَضْلِهِ
عَنْ سَيِّدٍ عَنِ الْهَوَى لَمْ يَنْطِقِ)
(وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ وَكَانَ مِنْ
أَصْحَابِهِ يَسْمَعُهُ فِى الْحَلَقِ)
(وَقَدْ أَتَى الْمِنْبَرُ لِابْنِ ثَابِتِ
فَكَانَ لِلْإِنْشَادِ فِيهِ يَرْتَقِى)

من الأحاديث التى جاءت فى مدح الشعر قوله صلى الله عليه وسلم : (إن من الشعر لحكمة) . رواه البخارى : وعن ابن

عباس رضى الله عنهما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم :(إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما) رواه أبو داود ومن تمثله صلى الله عليه وسلم بالشعر قوله كما فى الصحيح أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل *

وأما سماعه صلى الله عليه وسلم له من أصحابه فكثير ، فعن عمرو بن الشريد عن أبيه ردفته صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه، فأنشدته بيتاً ، فقال هيه ، ثم أنشدته بيتاً ، فقال هيه ، ثم أنشدته مائة بيت ، فقال : إن كاد ليسلم ، وأنشده عباس بن مرداس أبياتاً فأعطاه مائة من الإبل كما فى مسلم وناهيك بقوله لحسان « اللهم أيده بروح القدس كما فى الصحيح أيضاً . وقد وضع له منبرا فى المسجد فكان يقوم عليه منافحا عن رسول الله شعره مجيبا لشعراء الوفود كما هو معروف . قوله عن الهوى لم ينطق : هو اقتباس من الآية . والمراد هوى النفس ، والحلق جمع حلقة : وهى دائرة من القوم المجتمعين للمذاكرة والسمر وابن ثابت : هو حسان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم :

(وَقَالَ لابْنِ أَهْتَمٍ فِي مَدْحِهِ
وَذَمِّهِ لِلزِّبْرِقَانِ الأَسْمَقِ)
(مقالَةً خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ
إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً تَقِي)

ضمير قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، وابن أهتم هو : عمرو ابن الأهتم أحد سادات بنى تميم فى الجاهلية والإسلام وفى مدحه وذمه يتنازعان قوله للزبرقان ، وضميرهما عائد لابن أهتم ، والزبرقان هو ابن بدر التميمى أيضاً وكان سيداً من ساداتهم ، والأسمق : الأعلى ، من سمق سموقا ؛ إذا علا والمراد هنا : العلو المعنوى ، ويشير بهذا إلى ما رواه غير واحد من أن الزبرقان فخر بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم ، والمجيب لديهم ، أمنعهم من الظلم ، وآخذ لهم حقوقهم ، وهذا يعلم ، يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو : إنه لشديد العارضة مانع لجانبه ، مطاع فى أذنيه فقال الزبرقان : أما إنه يعلم أكثر من هذا ، ولكن منعه الحسد فقال عمرو : أنا أحسدك ، فوالله إنك للئيم الخال ، حديث المال ، أحمق الولد ، مضيع فى العشيرة والله يارسول الله لقد صدقت فى الأولى ، وما كذبت فى الثانية أنى إذا رضيت قلت أحسن ما علمت ، وإذا غضبت قلت أقبح

ما وجدت ، فقال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان اسحرا) وأنت ترى أن الخبر فيه (أن من البيان لسحراً ، لا أن من الشعر لحكمة) ومفاخرة الرجلين كانت نثراً ، فالمجال كله ليس للشعر ، فقد اشتبهت القصة على الناظم وإلا ففى غيرها قال :(إن من الشعر لحكمة) :

وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قُتَيْلَةِ
رَثْىَ قتيلِهَا الَّذِى لَمْ يُعْتَقِ)
(رَدَّ لَها سَلَبَهُ وَقَدْ بَكى
شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ)

قتيلة هذه : هى بنت النضر بن الحرث أو أخته ، وكان من كفار قريش ، شديد العداوة لرسول الله عليه وسلم والأذاية له ولأصحابه ، فلما كانت غزوة بدر أسر ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل ، فبلغ ذلك قتيلة فرثته بأبيات منها :

أمحمد ياخير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فلما سمعها النبي صلى الله عليه وسلم رق لها حتى دمعت عيناه

وقال . لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه , والرثى مصدر رثى الميت من باب رمى ، ومرثية ورثاء : إذا بكاه ، وعدد محاسنه شعراً أو نثراً ، والسلب ما على المقاتل من سلاح وغيره مما يسلب :

وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةَ مَدْحِهِ

بِبُرْدَةٍ وَمِائَةٍ مِنْ أَيْنُقِ)

حباه يحبوه حبوة : أعطاه والحبـــاء العطاء ، وكعب هو ابن زهير : أحد شعرائه صلى الله عليه وسلم ، وغداة ظرف لحبا ؛ ومدح كعب للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ ورضى عن كعب : كان بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة . وقد أجازه عليها كما قال الناظم ببردته ومائة من الإبل وعفا عنه بعد ما كان أهدر دمه ؛ وقد بقيت البردة عنده ، وساومه عليها معاوية بعشرة آلاف درهم فأبى ، ثم اشتراها من ورثته بعشرين وبقيت عند الخلفاء إلى أن فقدت فى فتنة التتار :

(وَبَشَّرَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ

بِجَنَّةٍ جَزَاءَ شِعْرٍ عُنْسُقِ)

يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدى لما أنشده قصيدته الرائية التي مدحه بها ؛ فبلغ هذا البيت :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال إلى الجنة يارسول الله ، فقال نعم إن شاء الله ، وإلى قوله لحسان بن ثابت لما أنشده همزيته التي أجاب فيها أبا سفيان بن الحرث ، فبلغ هذا البيت .

هجوت محمداً وأجبت عنه

وعند الله فى ذاك الجزاء

« جزاؤك الجنة يا حسان » وعنسق فى النظم كقنفد ، معناه : حسن .

(كَمْ خَامِلٍ سَمَا بِهِ إِلَى الْعُلاَ

بَيْتُ مَدِيحٍ مِنْ بَلِيغٍ ذَلِقِ)

(مِثْلُ بَنِي الأَنْفِ وَمِثْلُ هَرَمٍ

وَكَالذِي يُعْرَفُ بِالْمُحَلِّقِ)

الخامل : ضد النابه ، وقد خمل من باب دخل ، وسما مثل

علا وزنا ومعنى ، والعلا : الرفعة والشرف . والذلق : الفصيح ويقال الذليق أيضاً بالياء ، وبنو الأنف هم بنو جعفر بن قريع من بنى تميم كانوا يدعون بنى أنف الناقة فيأنفون من ذلك وكان الرجل منهم ينتسب إلى جده قريع ، ويتجاوز النسبة إلى جعفر فرارا من ذلك اللقب ، إلى أن مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصار اللقب فخراً لهم ، وصاروا إذا ذكروه يمدونه تطاولا به . أما هرم فهو ابن سنان المرى أحد ساداتهم ، وكان أخوه خارجة أسود منه لكنه بمدح زهير له غطى على أخيه وكان جوادا أريحيا . وكثر مدح زهير له فحلف أنه لايمدحه ولا يسأله ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرسا فاستحيا زهير ، فكان إذا رآه فى ملأ قال: عموا صباحا غير هرم، وخيركم استثنيت ومما قاله فيه :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم

والسائلون إلى أبوابه طرقا

إن تلق يوما على علاته هرما

تلق السماحة منه والندى خلقا

وأما المحلق : فهو رجل من بنى كلاب ، وكان مقلا خاملا

وله بنات قد عنسن ، فمر بهم الأعشى ذاهباً إلى عكاظ ،فتعرض له المحلق وأنزله ، ونحر له ناقته وسقاه خمراً اقترضها من أحد التجار ثم غدا على عكاظ فأنشد قصيدة مدح بها المحلق ، وفيها :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة
إلى ضوء نار فى يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق

فاشتهر المحلق وشرف ، وبادر الأشراف يخطبون بناته ويرغبون فى قربه فما مرت عليهن سنة حتى كانت كل واحدة فى عصمة رجل أشرف من أبيها بكثير :

(وَكَمْ وَكَمْ حَطَّ الْهِجَا مِنْ مَاجِدٍ
ذِي رُتْبَةٍ قَعْسَا وَقَدْرٍ سَمِقِ)

(مِثْلَ الرَّبِيعِ وَبَنِي الْعَجْلَانِ مَعْ
بَنِي نُمَيْرٍ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ)

كم الثانية توكيد للأولى ، وحط . أى وضع ، والهجاء :

ضد المدح وقصره ضرورة ، ومن ماجد تمييزكم . وقعساء : ثابتة وقصر ضرورة ؛ وسمق عال ؛ والربيع : هو ابن زياد العبسى ، نديم النعمان بن المنذر . وكان منه بمكانة . فوفد على النعمان عامر بن مالك ملاعب الأسنة وإخوته . فغض الربيع منهم . وطعن للنعمان فيهم . فخرجوا من عنده مغضبين . وكان لبيد صبياً صغيراً يومئذ وهو معهم . فرآهم على تلك الحال . فسألهم فأخبروه فقال : أنا أكفيكموه فغدو على النعمان فأذن لهم فدخلوا . فأنشده والربيع معه على المائدة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

إن أسته من برص ملمعه

فى أبيات مقذعة ، فأنف النعمان من مواكلته وأقصاه عن مجلسه . وبنو العجلان : هم من بنى عامر بن صعصعة ، ولقب أبوهم بالعجلان لتعجيله القرى للضيوف فهو لقب مدح ، ثم لما هجاهم النجاشى الشاعر بقوله :

وما سمى العجلان إلا لقولهم

خذ القعب وأحلب أيها العبد وأعجل

صار ذما ، وانقلب معناه . وأما بنو نمير فهم من عامر بن صعصعة أيضاً وهم إحدى جمرات العرب الذين لم يحالفوا أحدا لعزتهم ومنعتهم ، وكان الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال نميرى وفخمها ، وأمال عنقه فخراً ، حتى هجاهم جرير بقوله :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فصارا وينتسبون إلى عامر الجد الأعلى ، وقوله جمرات الحرق إنما يرجع لبنى نمير ، وأضافها للحرق للمناسبة . وجمرات العرب ثلاث : بنو نمير ، وبنو ضبة ، وبنو الحرث بن كعب .

(لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى
فَضْلٌ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ)

يشير إلى القصائد السبع المعروفة بالمعلقات ، وما قيل فى سبب تسميتها بذلك من أنها كانت مكتوبة فى القباطى بماء الذهب ، ومعلقة على الكعبة ، وذلك لنفاستها عندهم :

(لَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ
مَا فُسِّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الأَزْرَقِ)

ابن الأزرق : هو نافع الحنفى ، رئيس فرقة الخوارج المعروفة بالأزارقة ، ومسائله هى كلمات من القرآن ، سأل ابن عباس عن معناها ففسرها له جميعاً ، وكان فى كل كلمة يسأله هل تعرف العرب هذا ؟ فينشد على ذلك بيتا من الشعر وقد ذكرها المبرد وغيره فلا نطيل بها :

(مَا هوَ إلاّ كَالْـكِتاَبَةِ وَماَ
فَضْلهُماَ إلاَّ كَشَمْسِ الأفُقِ)

(وَإِنَّمــاَ نُزِّهَ عَنْهُماَ النَّبِى
لِيُدْرَكَ الإعْجَازُ بِالتَّحَقُّقِ)

يعنى أن الشعر هو كالكتابة فى الفضل، وفضلهما لا يخفى كما لا تخفى شمس الإفق: أى السماء ، وإنما نزه عنهما النبى صلى الله عليه وسلم أى عن الشعر فى قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ، وعن الكتابة فى قوله عز وجل: « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ، ليدرك الأعجاز بالتحقق : أى ليدرك كل إنسان على وجه التحقيق المعجزة فى إتيانه صلى الله عليه وسلم بذلك الكتاب الكريم الذى هو فى أعلى درجات البلاغة مع كونه أميا لا يشعر ولا يكتب . وقد أشارت الآية الثانية إلى علة ذلك فى آخرها . وهو قوله عز من قائل : « إذا لارتاب المبطلون » .

(فَهِمْ بِهِ فانَّهُ لاَ شَكَّ عُنْـ
وَانُ الحِجاَ وَالفَضْلِ وَالتَّحَذْلُقِ)

(وَهُوَ إِكْسِيرٌ وَتَدْبِيرٌ لِمَنْ

دَامَ اصْطِيَادَ وَرِقٍ بِوَرَق)

(مِنْ غَيرِ تَقْطِيرٍ وَتَصْعِيدٍوَتَـكْـ

لِيسِ وَتَرْطِيبٍ وَقَتْلِ زِئبقِ)

هم أمر ، من هام بالشىء يهيم هياما وهيمانا : أحبه ، والحجا: العقل ، ، والتحذلق : إظهارالحذق ، والأكسير : حجر الحكماء الذى يحول الفضة ونحوها ذهباخالصا ، والتدبير عندأهل هذه الصناعة: عملية التحويل المذكور ، فالناظم يقول: أن الشعر يوصل إلى سر هذه الصناعة ، فهو يقوم مقامها لمن رام : أى قصد ، أصطياد : أى أخذ ورق بكسرالراءأى فضة، بورق أى بقرطاس ولم يقصد إلى التجنيس بين الورق والورق عبثا بل لتتمه التشبيه . قولهمن غير تقطير اخ : هذه الألفاظ مما يستعمله أرباب الصناعة وكل واحد منهايطلق على عمل مخصوص لا يتم تحضير المعدن الكريم إلا به والزئبق معلوم ، والمراد بقتله: صهره بالنار حتى يجمد، ولا يجمد إلا فى درجة عالية من الحرارة :

(وَإِنْ تَـكُنْ مِنْهُ عَقِيم فِـكْرَةٍ

فَاعْنَ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفترِقِ)

(وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً كالأصمَعِي

وَالْجَهلُ أَوْلَى بِالَّذِي لَمْ يصْدُقِ)

العقم : الذى لا يولد له ، وعقم الفكرة مجاز عن عدم إنتاجها،وهذا كالإستثناء مما قبله ، فإن الإنسان إذا لم تفض سجيته بقول الشعر لا ينبغى له معاناته ، فإن أثر التكلف لا بد ظاهر عليه . ومعنى قوله : فاعن بجمع شمله أروه واحفظه فالمراد أنك لا تخلى نفسك منه إن قولا أو رواية ولذلك قال: وكن له راوية ، والراوية عند العرب : الذى يتبع الشاعر فيروى عنه ما يقوله من الشعر ، وكان لكل شاعر راوية ، والأصمعى هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، أحد أعلام الرواة والأخباريين الثقات ، وشهرته تغنى عن ذكره ، والناظم يرشد من تعذر عليه قول الشعر ، وكان قلبه معلقا بما يناله الشعراء من الحظوة عند الأمراء إلى طريق الرواية فإنها أخت الشعر ، وقديما قالوا : الراوية أحد الهاجيين لكنه لا يرضى للراوية أن يكون غير ثقة ، فلذلك ذكر الأصمعى وترك غيره من الرواة وزاد فقال : والجهل أولى بالذى لم يصدق . وقد كان الأصمعى رحمه الله على جانب عظيم من التثبت والتحرى فى كل ما يقول وينقل ، ولذلك حظى عند الخلفاء ونال من صلاتهم مالم ينله غيره :

(وَإنْ أَرَدْتَ أنْ تَـكُونَ شاَعِراً
فَحْلاً فَـكُنْ مِثْلَ أَبِى الشمَقْـمَقِ)
(مَا خِلتُ فِى الْعَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ
غيرَ أَبِى فِى مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ)
(لِذَاكَ كَنَّاهُ بِهِ سَيِّدُنَا
السُّلْطَانُ عِزُّ الدِّينِ تَاجُ الْمَفْرِقِ)

الشاعر الفحل : المفضل عموماً ، والغالب بالهجاء من هاجاه، وأبو الشمقمق شاعر كوفى أديب ظريف من موالى مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية وكان هجاء كثير الهزل فى شعره ومن ظريف شعره قوله يهجو سعيد بن سلم :

هيهات تضرب فى حديد بارد   إن كنت تطمع فى نوال سعيد
والله لو ملك البحور بأسرها   وأتاه سلم فى زمان مدود
يبغية منها غرفة لطهوره   لأبى وقال تيممن بصعيد

قوله ماخلت ؛ أي ماظننت والمثل الشبيه والنظير لغة في المثل وكناه به أي أطلق عليه كنيته ، وعزالدين أي معزه وتاج المفرق أي هو كتاج المفرق : فى الرفعة والجلال والمفرق : موضع افتراق شعر الرأس وهو محل التاج ، وكان والدالناظم أديباً ألمعياً ، صاحب

نكات وملح ، واتخذه السلطان سيدى محمد بن عبد الله بن إسماعيل نديما وقربه وأحبه وكناه بأبى الشمقمق فاشتهر بها هو وولده :

(مُحَمَّدٌ سِبطُ النَّبِيِّ خَيرُ مَنْ
سَادَ بِحُسْنِ خَلْقِهِ وَالْخُلُقِ)

(أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَ أَمِـ
يرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ الأميرِ المتقِى)

السبط : ولد الولد مطلقاً ويغلب على ولد البنت ، فيكون مقابل الحفيد الذى هو ولد الأبن خاصة ، وساد : صار سيداً والخلق بالفتح : المراد به الصفات الجسمية والخلق بالضم الصفات النفسية وفى قوله أعنى أمير المؤمنين البيت نوع من البديع : وهو الأطراد ، نظيره قوله صلى الله علية وسلم : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن أسحاق بن إبراهيم » :

(خَيرُ مُلُوكِ الْغَرْبِ مِنْ أُسرَتِهِ
وَغيرِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ الْمُطْلَقِ)

(وَدَوْحَةُ الْمَجْدِ الَّتِي أَغْصَانُهَا

بِهَا الْأَرَامِلُ ذَوُو تَعَلُّقِ)

(لَه مُحَيَّا ضَاءَ فِي أَوْجِ الدُّجَا

سَنَاهُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْمُتَّسِقِ)

(وَرَاحَةٌ تَغَارُ مِنْ سُيُولِهَا

سُيُولُ وَدْقٍ وَرُكَامٍ مطبِقِ)

الغرب : المراد به المغرب الأقصى ، ومن أسرته : أى من رهطه ، واشتقاق الأسرة من الأسر . وهو الشدة ، لأنها تشد ظهر الرجل : أى يتقوى بها . قوله ودوحة المجد : أى أصله ، والدوحة الشجرة العظيمة ، وجمعها دوح . والأرامل . المساكين واحده . أرمل ، وهو أيضاً من ماتت زوجته ، والأنثى أرملة ، وذوو تعلق . أى تمسك . قوله له محيا ، المحيا . الوجه من التحية لأنه يقصد بها ، والأوج : الارتفاع ، والدجا الظلمة وسناه أى ضوءه والمتسق : المنتظم والمراد . الكامل . قوله وراحة معطوف على محياً ، والراحة : بطن الكف جمعها راح ، وتغار من سيولها أى تنفس عليها ، والسيول جمع سيل : وهو الماء السائل بكثرة ، والمراد بها هنا : العطايا والودق المطر ، والركام : السحاب المتراكم بعضه على بعض والمطبق : المغطى الساتر لوجه الأرض .

(فَاقَ الرَّشِيدَ وَابْنَهُ بِحِلْمِهِ

وَعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ الْمــــوَفَّقِ)

فاق : أى علا ، وبابه قال ، والرشيد مفعول بفاق ، والمراد بابنه : المأمون، والضمير فى حلمـــه وعلمه ورأيه : راجع إلى الممدوح ، وحلم المأمون مما لا غاية فوقه ، والعلم والرأى مما اشترك فيه الرشيد والمأمون .

(وَسَادَ كَعْبًا وَابْنَ سُعْدَى وَابْنَ جُدْ

عَانَ وَحَاتِمًا بِبَذْلِ الْوَرِقِ)

سادهم : أى صار سيداً، ببذل الورق : أى إعطائها والورق: الدراهم المضروبة ، والمراد أنه فاقهم فى الجود ، وكعب هو ابن مامة الإيادى . وابن سعدى هو أوس بن حارثة بن لام الطائى، وسعدى أمه . وابن جدعان هو عبد الله بن جدعان القرشى ابن عم أبى بكر الصديق . وحاتم : هو الطائى، وكل هؤلاء من الأجواد المضروب بهم المثل ، وأخبارهم مفرقة فى الكتب :

(وَلَمْ يَدَعْ مَعْنًى لِمَعْنٍ فِى النَّدَى

وَلَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِى الْخُلُقِ)

لم يدع : أى لم يترك : معنى لمعن . أى ذكرا له ، فى الندى أى الجود ومعن هو ابن زائدة الشيبانى ،الجواد المشهور، والشجاع المذكور ، كان من رجالات الدولتين : الأمـــوية والعباسية ، ممدحا : مرجوا ، وفيه قيل : حدث عن معن ولا حرج ، ولم يكن فى خلقه مايعاب ، فكان جوادا وشجاعاً وحليماً ، وحسبك بقصته مع الأعرابى الذى تندر عليه بقوله :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة　　وإذ نعلاك من جـــلد البعير

فقال : أذكره ولا أنساه ، فقال الأعرابى :

فجد لى يا ابن ناقصة بمال　　فإنى قـــد عزمت على المسير

فأمر له بألف دينار ، فعجب الأعرابى ، وكان قد أتى مختبرا لحلمه ، ثم مدحه وانصرف من عنده بجوائز سنية ، فقول الناظم . ولم يكن كمثله فى الخلق من الاطراء المعيب إلا أن يقصد به جفاء البادية فى أول نشأته :

(مُذْ كَانَ طِفْلاً وَالسَّمَاحُ دَأْبُهُ

وَغَيْرَ مَأْخَذِ الثَّنَا لَمْ يَعْشَقِ)

(نَشَأَ فِى حِجْرِ الْخِلاَفَةِ وَمُذْ

شَبَّ فَتًى بِغَيْرِهَا لَمْ يَعْلَقِ)

(فبَايَعَتْه النَّاسُ طُرًّا دَفْعَةً
لَمْ يَكُ فِيهَا أَحَدٌ بالأسْبَقِ)

(وَأُعْطِيَتْ قَوْسُ الْعُلاَ مَنْ قَدْ بَرَى
أَعْـوَادَهَا رِعَايَةً لِلأَلْيَقِ)

مذ كان طفلا : أى من ابتداء طفولته ، والسماح ؛ أى الجـود ، دأبه : أى عادته ، وغير مأخذالثناء ؛ أى سببه وسبيله . والثناء : الحمد وهو ممدود ، وقصره ضرورة ، لم يعشق . أى لم يحب ولم يسلك . قوله نشأ . أى تربى فى حجر الخلافة بالفتح والكسر ؛ أى كنفها وظلها ، وشب . صار شابا وفتى حال من شب ، وتنوينه للتعظيم ؛ أى فتى كاملا ، ولم يعلق ؛ أى لم يتعلق قوله فبايعته الناس ؛ أى ولوه عليهم ، وطرا ؛ أى جميعاً ، وهو من الأسماء اللازمة النصب على الحال ، ودفعة ؛ أى مرة واحدة، وفى نسق واحد ، لم يك فيها ؛ أى فى البيعة المفهومة من السياق واحد بالأسبق ، وهو خارج مخرج المبالغة ، إذ المراد لم يقعد أحد عن مبايعته . قوله . وأعطيت قوس ،قوس نائب عن الفاعل بأعطيت ؛ ومن مفعول ثان ، وأعوادها مفعول برى ، ورعاية مفعول لأجله ، وإضافة قوس إلى العلا استعارة ، ومعنى برى

أعوادها ، نحتها ؛ والمراد بأعوادها أسهمها ، وهذا البيت من قول الشاعر ؛

يا باری القوس بريا ليس يحسنه
لاتظلم القوس أعط القوس باريها

(فَصَارَ فَىءُ الْعَدْلِ فِى زَمَانِهِ
مُنْتَشِراً مِثْلَ انْتِشَارِ الشَّرَقِ)

(وَشَادَ رُكْنَ الدِّينِ بِالسَّيْفِ وقَدْ
حَازَ بِتَقْوَاهُ رِضَى الْمُوفِّقِ)

الفیء ، الظل عند الزوال يسمى فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب . قال ابن السكيت . الظل ما نسخته الشمس ، والفیء : ما نسخ الشمس ، ومنتشرا : أى ممتدا ، والشرق الشمس . قوله وشادركن الدين : أى رفعه وأعلاه ، وحاز : أى حوى وحصل والموفق بالكسر : اسم فاعل من التوفيق ، وهو الهداية والله هو الموفق :

(وَقَدْ رَقَى فِى مُلْكِهِ مَعَارِجاَ
لَمْ يَكُ غَيْرُهُ إِلَيْهَا يَرْتَقِى)

(وَرَدَّ أَرْوَاحَ الْمكَارِمِ إِلَي
أَجْسَادِهَا بَعْدَ ذَهَابِ الرَّمَقِ)

(وَالسَّعْدُ قَدْ أَلْقَي عصَى تَسْيَارِهِ
بِقَصْرِهِ وَخَصَّهُ بِمَعْشَقِ)

رقى . أى علا ، وهوبالفتح فى المعانى وبالكسر فى المحسوسات ومعارجا : أى رتبا عالية ، وهو جمع معراج ، والكلام على الاستعارة . قوله : والسعد قد ألقى عصى تسياره هو كناية عن الإقامة لديه ، وهو من قول الشاعر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

والمعشق : العشق مصدر ميمى :

(يَا مَلِكاً أَلْوِيَةُ النَّصْرِ عَلَي
نَظِيرِهِ فِي غَرْبِنَا لَمْ تَخْفُقِ)

(طَابَ الْقَرِيضُ فِيكُمُ وَازْدَانَ لِي
وَجَاشَ صَدْرِي بِالْفَرِيدِ الْمُونِقِ)

قوله: ياملكابالنصب ، لأنه من قبيل المشبه بالمضاف ، وألوية النصر : أى أعلامه ، ونظيره : أى مثله ، ولم تخفق : لم تضطرب وهو بضم الفاء وكسرها . قوله وازدان : أصـــله ازتان ، من الزين . ضد الشين ، فأبدلت التاء فيه ، دالا وهو مطاوع زين. فمعنى وازدان لى زينته فتزين ، وجاش أى فاض والفريد : الدر المنظوم أوكباره ، واستعاره للشعر النفيس ، والمونق المعجب .

(لَوْلَاكَ كُنتُ لِلْمدِيحِ تارِكَا
لِعَدمِ الْبَاعثِ والْمُشوِّقِ)

(تَرْكَ الْغزَالِ ظِلَّهُ وَوَاصِلِ
لِلرّاء وَابْنِ تَوْلب الْمـَلَق)

لولا : حرف امتناع لوجود ؛ أى امتنع تركى للقريض من أجل وجودك . والقريض ؛ الشعر ، ولعدم الباعث علة فى تركه للشعر ، والباعث ؛ السبب الحامل للمرء على إتيان الشىء والمشوق ؛ المغرى والمميل ، والباعث عند الشعراء ، هو ما ذكره الغزى ؛

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة   باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديـار فلا كريم يرتجى   منه النوال ولا مليح يعشق

قوله ترك الغزال ظله : هو مفعول مطلق لتاركا ، ومعناه من المثل تركَ ظبي ظله ، وذلك أن الغزال يكون مستظلاً فى كناسه وقت الحر فيأتى الصائد ليثيره ، فينفر ولا يعود إليه يضرب لمن يخرج من مقام خفض ورخاء إلى مقام بؤس وشقاء . وأما واصل فهو ابن عطاء شيخ المعتزلة وخطيبهم ، وكان يلثغ بالراء : أى يبدلها غينا ، فكان يتخلص منها ويتلطف فى تجنبها فلا تقع فى كلامه أصلا ، وذلك لاقتداره على تصريف الكلام وتمكنه من ناصية اللغة ، فمن ثم ضرب المثل بتركه للراء . وأما ابن تولب فهو النمر بن تولب العكلى الصحابى ، وكان من الشعراء المخضرمين وذوى الإجادة والمجادة ، إلا أنه لم يمدح أحداً ولا هجاه ترفعاً منه وتأبياً ، فهذا معنى قول الناظم ترك ابن تولب للملق ، لأن مدح الشعراء كثيراً ما يكون باعثه الملق .

(وَكُنْتُ فِي تَرْكِي لَهُ كَابْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ النَّاذِرِ عِتْقَ الْمُنْبَقِ)

كان عمر بن أبى ربيعة لما تنسك فى آخر عمره ترك الشعر وحلف أنه لا يقول بيتا من الشعر إلا أعتق رقبة ، فنظر ذات يوم رجلا يكلم امرأة فى الطواف فعاب عليه ذلك ، فقال : أنها أبنة عمى ، فقال : ذلك أشنع لأمرك ، فقال : إنى أحبها وقد

خطبتها إلى عمى ، فأبى على الاصداق أربعمائة دينار ثم أنه شكا إليه من كلفه بها ، وتحمل به على عمه ، فرق له ابن أبى ربيعة ومضى إلى عمه ، فكفل له الصداق وتزوجها الرجل ، فانصرف عمر إلى بيته وهو يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها ، فقالت له : إن لك لأمراً ، فقال :

تقول وليدتى لما رأتنى   طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا   وهاج لك الهوى داء دفيناً
فقلت شكا إلى أخ محب   كبعض زماننا إذ تعلمينا

فى أبيات أخرى ضمنها هذه الحكاية ، أعتق بعدها رقبة لكل بيت ، فهذا معنى قول الناظم . الناذر عتق الهنبق . أى الملتزم والهنبق . الغلام .

(وَمُنْ بِكَ الرَّحْمَنُ مَنَّ لَمْ يَزَلْ
فِكْرِى فِى بَحْرِ الثَّنَا ذَا غَرَقِ)

من . أى أنعم ، وبك متعلق به ، وذا غرق : أى غارقاً ، وفى بحر الثناء استعارة ، وهو متعلق بغرق ، وهذا البيت من معنى ما قبله ، فهو توكيد لقوله لولاك :

(لاَ زِلْتَ بَدْراً فِي بُرُوجِ السَّعْدِ
تَنْسَخُ بِنُورِكَ ظَلاَمَ الْغَسَقِ)

(وَلاَ بَرِحْتَ بِالْأمَانِي ظَافِراً
وَمُدْرِكاً لِماَ تَشاَ مِنْ أَنَقِ)

(بِجَاهِ جَدِّكَ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
خَيْرِ الْأنَامِ الصَّادِقِ الْمُصَدَّقِ)

(وَسُورَةِ الْفَتْحِ وَطَهَ وَالضُّحَى
وَآيَةِ الْكُرْسِي وَآيِ الْفَلَقِ)

هذا دعاء الختام الذى جرت عادة الشعراء به .

فقوله لازلت بدراً : أى أبقاك الله مثل البدر ، والبروج : جمع برج : وهى منازل الكواكب فى السماء . قال تعالى : « والسماء ذات البروج » وهذه البروج : منها نحيس ، ومنها سعيد كما يقولون ، ولذلك أضافها إلى السعد لأن المقصود الدعاء

له بدوام السعد ، وتنسح : أى تمحو ، والغسق : أول ظلمة الليل وقد غسق الليل من باب جلس : أظلم . قوله ولا برحت : مثل لازلت ، وظافرا بالأمانى : أى فائزاً بها ومحرزا لها ، ولما تشأ أصله المدفخفف : والأنق : الفرح والسرور . قوله : بجاه جدك الجاه : رفعة القدر ، والمصطفى المختار ، والأنام : الخلق . والفتح ، وطه ، والضحى ، وآية الكرسى ، والفلق من القرآن معلومة :

(إِلَيكَهَـا أُرْجُوزَةً حُسَّانَةً
لِمِثْلِهَا ذُو أَدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ)

(كَـأَنَهـا أَسْلاَكُ دُرّ وَيوَا
قِيتَ تُضِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ)

(أَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنُوقِ وَمِنَ
الْعَنْقَا وَمِنَ فَحْلٍ عَقُوقٍ أَبْلَقِ)

إليك : اسم فعل بمعنى خذ ، وأرجوزة : أى منظومة ، من بحر الرجز : وهو أحد أوزان الشعر الستة عشر ، وحسانة بضم

الحاء صفة من الحسن : وهى أبلغ من حسنة . قوله كأنها أسلاك أى خيوط ، قوله : أعز من بيض الأنوق : هو مثل يضرب للشىء البعيد المنال ؛ والأنوق ؛ الرخمة ، وهى لاتبيض إلا فى رؤوس الجبال والأماكن الممتنعة ، وكذا أعز من العنقاء ، لأنها طائر لاوجود له إلا فى الخيال ، وأعز من الأبلق العقوق لأن الأبلق من صفات الفرس الذكر ، والعقوق من صفات الفرس الأنثى لأن معناه ؛ الحامل والذكر لايكون حاملا فهو أيضاً مثل لما لايوجد ، وقد تصرف الناظم فى المثل الأخير ، فقال ؛ من فحل عقوق أبلق ، والفحل ؛ الذكر من كل حيوان .

(مَا رَوْضَةٌ فَيْنَانَةٌ غَنّاءُ قَدْ
جَادَتْ لَهَا السُّحْبُ بِمَاءٍ غَدَقِ)

(فَابْتَسَمَتْ أَغْصَانُهَا عَنْ أَبْيَضٍ
وَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَأَزْرَقِ)

(يَوْماً بِأَبْهَى لِلْعُيُونِ مَنْظَراً
مِنْهَا وَلاَ مِنْ لَفْظِهَا الْمَرْوَنَقِ)

ما نافيه حجازية تعمل عمل ليس ، وروضة اسمها ، وما بعد روضة صفة لها ، والخبر فى قوله بأبهى ، والروضة : الأرض المخضرة بأنواع النبات ، والفينانة : كثيرة الأفنان : أى الأغصان والغناء : كثيرة الشجر والعشب . والسحب : جمع سحابة ، والماء الغدق : الكثير . وفى الكتاب العزيز : « لأسقيناهم ماء غدقا » قوله فابتسمت : الابتسام هنا كناية عن الإبانة ، والمراد بالأبيض والأحمر وما بعده : أنواع الريحان كالزهر والورد والبهار والسوسن . قوله يوماً : ظرف لا بتسمت وبأبهى : أى أجمل ، ومنظراً تمييز ، والضمير فى منها يعود على الارجوزة ، ولفظها المرونق : أى المزخرف :

(مَا لَجِرِيرٍ وَجَمِيلٍ مِثْلُهَا
فِي غَزَلٍ وَفِي نَسِيبٍ مُونِقٍ)

(وَلاَ أَدِيبٌ فِي قُرى أَنْدَلُسٍ
جَرَتْ بِهَا أَقْلاَمُهُ فِي مُهْرَقٍ)

جرير هو ابن عطية بن الخطفى التيمى الشاعر المشهور ، صاحب الفرزدق . وجميل هو ابن عبد الله بن معمر العذرى

الشاعر الغزل المعروف ، صاحب بثينة . والغزل والنسيب : قيل إنهما بمعنى واحد . وقيل الغزل ، مغازلة المحبوب خاصة أى ما يكون بين المحب والمحبوب من الأفعال والأقوال ، والنسيب وصف محاسن المحبوب ، وكلف المحب بها ، وما يلقاه من محبوبه من ألم الهجر والصدود مثلا ، وقد كان جرير وجميل مجيدين فى ذلك ، قوله ولا أديب فى قرى أندلس : القرى جمع قرية ، وكان بالأندلس من القرى عدد كثير ، حتى قيل إن عدد القرى التى كانت على نهر إشبيلية خاصة اثنتا عشرة ألف قرية ، والأندلس بلاد أسبانيا التى افتتحها العرب سنة ٩٢ هجرية وبقيت دولتهم فيها زهاء ثمانية قرون ، وقد بلغت فى أيامهم من العمارة والحضارة. مبلغاً عظيما تشهد ببعضه آثارهم الماثلة فيها للعيان إلى الآن ، وأما من نبغ فيها من الأدباء ، وجهابذة العلماء فمما لا يأخذه الإحصاء . وجرت بها أقلامه : أى خطتها ، فى مهرق كمكرم : أى صحيفة .

(فَلَوْ رَآهَا الْأَصْمَعِىُّ خَطَّهَا
كَىْ يَسْتَفِيدَ بِسَوَادِ الْحَدَقِ)
(أَوْ فَتَحَ الْفَتْحُ عَلَيْهَا عَيْنَهُ
سَـــامَ قَلَائِدَهُ بِالتَّمَزُّقِ)

(أَوْ وَصَلَتْ لِلمُوصِلِي فِيمَا مَضَى

عِنْدَ الْغِنَا بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ)

(أَو ابْنُ بَسَّامٍ رَآهَا لَتَدَارَكَ

الذَّخِــــيرَةَ بِهَا عَنْ قَلَقِ)

الأصمعى : هو شيخ الرواة ، وتقدم ذكره ، وخطها ؛ أى كتبها ، بسواد الحدق ؛ أى نورها : قوله أو فتح الفتح معطوف على رآها ، مدخول للو ، وسام بمعنى عامل ، فلذلك عداه إلى المفعول الثانى بالباء ، والتمزق أراد به التمزيق ، والفتح هو ابن خاقان الأديب الأندلسى الكبير ، وقلائده : أى كتابه (قلائد العقيان) الذى ضمنه تراجم أدباء الأندلس والمغاربة فى عصره وجملة صالحة من بديع شعرهم ونفيس نثرهم . قوله : أو وصلت للموصلى : هو اسحاق بن إبراهيم الموصلى المغنى المشهور ونديم الخلفاء من بنى العباس ، والغنا فى كلامه مقصور ضرورة . قوله : أو ابن بسام هو على بن بسام الأندلسى ، أحد أدبائها الفضلاء وكتابها البلغاء ، صاحب (الذخيرة) التى ألفها على مثال القلائد وقوله ؛ لتدارك الذخيرة بها ؛ أى لألحقها فيها عن قلق ؛ أى بمزيد السرعة ؛

(مَنْ كَانَ يَرْجُو مِنْ سِوَاىَ مِثْلَهَا

رَجَا مِنَ الْقِرْبَةِ رَشْحَ الْعَرَقِ)

عرق القربة ؛ كناية عن العدم ، فهو مثل يضرب لمن يطلب المحال ، وقد ظرف الناظم بتصرفه بزيادة لفظة : رشح فجاءت مؤكدة لمعناه ، متممة لمبناه ؛

(حَصَّنْتُهَا بِسُورَةِ النَّجْمِ إِذَا

هَوَى مِنَ الْمُنْتَحِلِ الْمُسْتَرِقِ)

حصنتها ؛ أى جعلت لها حصنا يمنعها من المنتحل ؛ أى المدعى ما ليس له ، المسترق ، وهو مثل السارق ، بسورة « والنجم إذا هوى ، والتحصين بسور القرآن وأسمائه عز وجل مما ورد فى الشرع فلا ينكر :

(فَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى صَيَّرَهَا

أُعِدَ عَيْنِ الْمُنْصِفِ الْمُوَفَّقِ)

(وَالْحَمْدُ لِلّهِ الّذِى جَعَلَهَا

قذَى بِعَيْنِ الْحَاسِدِ الْحَفلّقِ)

الإثمد حجر الكحل المعروف ، والقذى ، مايقع فى العين أو الشراب من تبنة أو نحوها ، والحفلق كمملس ، الضيف الأحمق .

(ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ مَا تغنّتْ

أُمُّ مَهْدِيّ بِرَوْضٍ مُورقِ)

(عَلَى النّبِى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

وَتابعيهِمْ مَنْ مَضى وَمَنْ بَقِى)

أم مهدى . علم جنس للحمامة ، وغناؤها . سجعها ، وهذا تأبيد للصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ه .

كتب للمؤلف

النبوغ المغربى فى الأدب العربى : جزآن (نفد)

التعاشيب : فى الأدب والنقد

واحة الفكر . فى الأدب والنقد

شرح مقصورة المكودى . فى السيرة النبوية .

محاذى الزقاقية . فى التشريع الإسلامى المغربى (نفد)

مجلة لقمان : بحث فى شخصية لقمان الحكيم مع جملة من حكمه .

القدوة السامية للناشئة الإسلامية (نفد)

المنتخب من شعر ابن زاكور مشكول ومشروح مع مقدمة فى التعريف بالشاعر (نفد)

فضيحة المبشرين فى إحتجاجهم بالقرآن المبين (وهورد على كتيب للمبشر المسيحى منرو)

أمراؤنا الشعراء : مجموعة من شعر ملوك وامراء الدول التى حكمت المغرب .

شرح الشمقمقية (وهو المكتوب عليه هذا) وكان طبعة أولا بمصر سنة ١٣٥٤ .

مدخل إلى تاريخ المغرب : موجز تاريخي لبلاد المغرب الأقصى . من لدن عصور الجاهلية إلى الآن ، مزين بالصور والخرط (نفد)

ذكريات مشاهير رجال المغرب : وهي سلسلة من تراجم عظماء . المغرب في العلم والأدب والسياسة ، صدر منها لحد الآن ٣٠ حلقة .